سلسلة قصص الأطفال (٤)

قَصَصُ الأَطْفَالِ

الجُزْءُ الرَّابِع

صَحِيحُ القَصَصِ النَّبَوِيَّةِ

إعداد:

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

(٤)

قصص الأطفال

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

طبع ونشر وتوزيع

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

الموقع "اليمن - عدن - لحج - دار الحديث بالفيوش"

المبيعات: للطلب جملة - تجزئة
هاتف للتواصل واتساب : 967775250954+

سلسلة قصص الأطفال (٤)

قصص الأطفال

الجزء الرابع

صحيح القصص النبوية

إعداد:

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَقِيدَةَ مِفْتَاحَ الْفَائِزِينَ، وَمَلَاذَ الْخَائِفِينَ، وَنُورَ قُلُوبِ الْمُوَحِّدِينَ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَبِتَوْفِيقِهِ تُشْرِقُ الْقُلُوبُ بِالْهُدَىٰ وَالْيَقِينِ، وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ عَلَّمَ وَبَشَّرَ، نَبِيِّنَا وَقُدْوَتِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي أُرْسِلَ بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَأُيِّدَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَا نَحْنُ نَستَمِرُ فِي رِحْلَتَنَا الْإِيمَانِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ عَبْرَ صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُتَوَاضِعِ، "**قِصَصِ الْعَقِيدَةِ لِلْأَطْفَالِ**". لَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةً فَرِيدَةً، لَا تُشْبِهُهَا أَيُّ رِحْلَةٍ أُخْرَىٰ، فَقَدْ عِشْنَا فِيهَا لَحَظَاتٍ لَا تُنْسَىٰ، وَتَعَمَّقْنَا فِي عَوَالِمِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَتَعَلَّقْنَا بِحُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ. قِصَصٌ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حِكَايَاتٍ تُرْوَىٰ، بَلْ هِيَ نُورٌ يُضِيءُ الْعُقُولَ، وَرِيٌّ يَرْوِي الْقُلُوبَ، وَغَرْسٌ يُثْمِرُ صَلَاحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لَقَدْ عِشْنَا مَعًا فِي زَمَنٍ تَلَاطَمَتْ فِيهِ أَمْوَاجُ الْفِتَنِ، وَاضْطَرَبَتْ فِيهِ السُّفُنُ، وَزَادَتْ فِيهِ الْحَيْرَةُ وَالضَّلَالُ. فِي هَذَا الزَّمَنِ، يُصْبِحُ الْحَدِيثُ عَنِ الْعَقِيدَةِ لَيْسَ مُجَرَّدَ خِيَارٍ، بَلْ ضَرُورَةً مُلِحَّةً، وَحَاجَةً أَسَاسِيَّةً لِبَقَاءِ الْأُمَّةِ وَصَلَاحِهَا. فَالْعَقِيدَةُ لَيْسَتْ مَجْمُوعَةَ أَفْكَارٍ جَافَّةٍ تُحْفَظُ فِي الذِّهْنِ، بَلْ هِيَ جَوْهَرُ الْحَيَاةِ، وَرُوحُ الْوُجُودِ، وَمِحْوَرُ كُلِّ عَمَلٍ وَجِهَادٍ.

الْعَقِيدَةُ هِيَ الْحَيَاةُ، فَبِهَا يَنْبَعُ الْجِهَادُ، وَتَتَحَقَّقُ الْعِزَّةُ، وَتَرْتَفِعُ الرَّايَةُ.

لَا يُمْكِنُ لِجَيْشٍ أَنْ يَنْتَصِرَ، وَلَا لِأُمَّةٍ أَنْ تَسُودَ، وَلَا أَنْ تُفْلِحَ، مَا لَمْ يَكُنْ أَسَاسُهَا عَقِيدَةً رَاسِخَةً تُقَاوِمُ الزَّيْفَ، وَتُبْصِرُ الْحَقَّ، وَتُوَحِّدُ الْأَهْدَافَ. فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ لَيْسَ مُجَرَّدَ

قِتَالٍ أَوْ صِرَاعٍ، بَلْ هُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ إِيمَانٍ عَمِيقٍ، وَيَقِينٍ لَا يَتَزَعْزَعُ بِأَنَّ الْعِزَّةَ كُلَّ الْعِزَّةِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ. فَمَا أَضْعَفَ أُمَّةً انْقَسَمَتْ قُلُوبُهَا عَلَىٰ عَقَائِدَ مُتَنَافِرَةٍ، وَمَا أَقْوَىٰ أُمَّةً اجْتَمَعَتْ قُلُوبُهَا عَلَىٰ عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ.

وَإِنَّ أَعْظَمَ مَا يُمْكِنُ أَنْ نُقَدِّمَهُ لِأَبْنَائِنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ هُوَ غَرْسُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ الصَّافِيَةِ، الَّتِي تُعِيدُهُمْ إِلَىٰ مَنَابِعِ الْخَيْرِ الْأُولَىٰ، وَتُثَبِّتُ أَقْدَامَهُمْ عَلَىٰ طَرِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحْبِهِ. إِنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ هِيَ سِرُّ نَجَاةِ الْأُمَمِ، وَسَبَبُ رِفْعَتِهَا. فَبِهَا تُبْنَىٰ الْمَسَاجِدُ وَتُقَامُ الدُّوَلُ، وَتَنْتَشِرُ الْعُلُومُ وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ. إِنَّ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ فَبِهَا يَتَخَلَّصُ النَّاسُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَلْقِ إِلَىٰ عُبُودِيَّةِ الْخَالِقِ، وَتَتَحَرَّرُ عُقُولُهُمْ مِنَ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ.

وَعَلَىٰ النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَقَائِدَ الضَّالَّةَ شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَوَبَاءٌ فَتَّاكٌ، يُفْسِدُ الْأَمْنَ، وَيُثِيرُ الْفِتَنَ، وَيُشِيعُ الْفَوْضَىٰ. فَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ مَزَّقَتْهَا الْفُرْقَةُ، وَشَتَّتَتْهَا الْأَهْوَاءُ، وَتَنَاحَرَ أَبْنَاؤُهَا بِسَبَبِ عَقَائِدَ بَاطِلَةٍ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ. إِنَّهَا تُضْعِفُ الْمُجْتَمَعَ، وَتُوهِنُ قُوَاهُ، وَتُسْلِمُهُ فَرِيسَةً سَهْلَةً لِأَعْدَاءِ الدِّينِ. فَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ بِيَدِ غَيْرِ اللهِ، كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِهِ؟ وَمَنْ يُقَدِّسُ الْقُبُورَ وَالْأَوْلِيَاءَ، كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ عُبُودِيَّةِ غَيْرِ اللهِ؟

لِذَلِكَ، فَإِنَّ مَسْؤُولِيَّتَنَا تُجَاهَ هَذِهِ الْأَجْيَالِ عَظِيمَةٌ جِدًّا. عَلَيْنَا أَنْ نُزَوِّدَهُمْ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ لِتَكُونَ لَهُمُ الدِّرْعَ الْوَاقِيَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَالسَّيْفَ الْبَتَّارَ فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ. فَبِزَرْعِ هَذِهِ الْبُذُورِ الطَّيِّبَةِ، سَنُوَرِّثُ أَجْيَالًا لَا تَهْتَزُّ أَمَامَ رِيَاحِ الْبَاطِلِ، وَلَا تَضْعُفُ أَمَامَ شُبُهَاتِ الْمُشَكِّكِينَ، جِيلًا صُلْبَ الْإِيمَانِ، ثَابِتَ الْجِنَانِ، مُسْتَعِدًّا لِرَفْعِ رَايَةِ الْحَقِّ وَنَشْرِ الْعَدْلِ.

وَخِتَامًا، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَ مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا، وَأَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَجْرًا، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِمَشَايِخِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِأَهْلِي وَذُرِّيَّتِي وَلِأَصْحَابِي وَأَحْبَابِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ. وَأَخُصُّ الدُّعَاء لِشَيْخِنَا الْمُحَدِّثِ الْعَالِمِ النِّحْرِيرِ: مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ، وَشَيْخِنَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الصَّبُورِ الْمُتَوَاضِعِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدَنِيِّ، رَحِمَهُمَا اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُمَا فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَجَمَعَنَا بِهِمَا فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

كَتَبَهُ: سَالِمُ بْنُ الْخَضِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُنْذِرِيُّ

دَارُ الْحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بِالْفُيُوشِ حَرَسَهَا اللهُ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ

التَّارِيخُ: ٢٦ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٤٧ هـ

تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ: لِمَنْ نَصْرِفُ الْعِبَادَةَ؟

أَبْنَائِيَ الْأَعِزَّاءَ، هَلْ فَكَّرْتُمْ يَوْمًا: مَنْ هُوَ الَّذِي نُحِبُّهُ أَشَدَّ الْحُبِّ؟ وَمَنْ هُوَ الَّذِي نَدْعُوهُ فِي أَوْقَاتِ الْفَرَحِ وَالْحُزْنِ؟ وَمَنْ هُوَ الَّذِي نَشْكُرُهُ عَلَىٰ كُلِّ نِعْمَةٍ تَصِلُ إِلَيْنَا؟

حَسَّانُ: أَنَا أُحِبُّكَ يَا أَبِي، وَأُمِّي!

رَزَانُ: وَأَنَا أُحِبُّ بَيْتَنَا الْجَمِيلَ!

تَسْنِيمُ: وَأَنَا أُحِبُّ الْمَطَرَ الْكَثِيرَ.

رَيَّانُ: وَلَكِنْ يَا أَبِي، هَلْ نُحِبُّ أَحَدًا أَشَدَّ الْحُبِّ مِنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ رَائِعٌ يَا رَيَّانُ! دَعُونِي أَحْكِ لَكُمْ مَا هُوَ الْأَهَمُّ. مَنْ هُوَ الَّذِي يُعْطِينَا كُلَّ شَيْءٍ؟ مَنِ الَّذِي خَلَقَنَا وَأَعْطَانَا الصِّحَّةَ وَالْقُوَّةَ؟ مَنِ الَّذِي يَرْزُقُنَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟ مَنِ الَّذِي يَهْدِينَا إِلَىٰ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ؟

رَيَّانُ: إِنَّهُ اللهُ يَا أَبِي!

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ! إِنَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هُوَ الَّذِي وَحْدَهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ نُحِبَّهُ أَشَدَّ الْحُبِّ، وَأَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. لَا نَدْعُو إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا نَخَافُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا نُصَلِّي إِلَّا لَهُ، وَلَا نَصُومُ إِلَّا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

حَسَّانُ: هَلْ يُوجَدُ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، قَدْ يُوجَدُ أُنَاسٌ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، أَوِ الْأَشْجَارَ، أَوِ الشَّمْسَ، أَوِ الْقَمَرَ، أَوِ الْأَوْلِيَاءَ. وَكَذَلِكَ يَا رَيَّانُ، يُوجَدُ أُنَاسٌ يَدْعُونَ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُونَ: "يَا عَلِيُّ" أَوْ "يَا النَّبِيُّ" أَوْ "يَا حُسَيْنُ" وَ"يَا ابْنَ عَلْوَانَ" وَ"يَا عِيدَرُوسُ"، وَهَذَا شِرْكٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ. وَكَذَا يُوجَدُ مَنْ يَطُوفُ حَوْلَ الْقُبُورِ وَيَسْأَلُ حَوَائِجَهُ مِنَ الْمَقْبُورِ، وَهَذَا

يَا أَوْلَادِي شِرْكٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَيُوجَدُ مَنْ يَذْبَحُ لِلْوَلِيِّ، وَهَذَا شِرْكٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

سُؤَالٌ: هَلْ تُصَلِّينَ لِلُعْبَتِكِ يَا رَزَانُ؟

رَزَانُ: لَا يَا أَبِي! اللُّعْبَةُ لَا تَسْمَعُنِي وَلَا تُعْطِينِي شَيْئًا!

الْأَبُ: صَدَقْتِ! وَكَذَلِكَ الْأَصْنَامُ وَالْأَشْجَارُ وَمَنْ فِي الْقُبُورِ، لَا تَسْمَعُ وَلَا تَرَى وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ. فَكَيْفَ نَعْبُدُ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا، وَنَتْرُكُ الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَيَلْطُفُ بِنَا؟

رَيَّانُ: إِذَنْ نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ فَقَطْ!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. هَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، فَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ. وَهُوَ مَعْنَىٰ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"؛ أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩].

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **تَسْنِيمُ**: نَتَعَلَّمُ أَنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي نُصَلِّي لَهُ، وَنَدْعُوهُ، وَنَخَافُ مِنْهُ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ.

- **رَيَّانُ:** وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ كَالْأَصْنَامِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَوْلِيَاءِ هُوَ خَطَأٌ وَشِرْكٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِغَيْرِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.
- **رَزَانُ:** يَا أَبِي، تَعَلَّمْتُ أَنَّ مَعْنَىٰ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" هُوَ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَهَذَا مَا أَمَرَنَا بِهِ رَبُّنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْطَالُ! حَفِظَكُمُ اللهُ لِلتَّوْحِيدِ مَنَارًا، وَجَعَلَكُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَّبِعِينَ.

***

تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ: اللهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ

الْأَبُ: أَحْبَائِي الشُّجْعَانَ! فِي الْقِصَصِ السَّابِقَةِ تَعَلَّمْنَا عَنْ مَعْنَىٰ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ". وَالْيَوْمَ سَنَتَعَلَّمُ شَيْئًا مُهِمًّا جِدًّا عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي "وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ" يَا أَبِي؟

الْأَبُ: يَعْنِي يَا حَسَّانُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا. لَا نَدْعُو إِلَّا اللهَ، وَلَا نَسْتَغِيثُ إِلَّا بِهِ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا نَذْبَحُ إِلَّا لَهُ، وَلَا نُصَلِّي إِلَّا لَهُ. كُلُّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي نَفْعَلُهَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ. هَذَا مَا نُسَمِّيهِ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ.

رَزَانُ: هَلْ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الْعَظِيمَةِ. "لَا إِلَهَ" تَعْنِي لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ فِي الْوُجُودِ، "إِلَّا اللهُ" تَعْنِي إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦].

رَيَّانُ: وَلِمَاذَا نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ؟

الْأَبُ: نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ يَا رَيَّانُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْوَاحِدُ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْزُقُ كُلَّ شَيْءٍ وَيُدَبِّرُ كُلَّ أَمْرٍ. هُوَ الَّذِي أَعْطَانَا كُلَّ النِّعَمِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَمَنْ غَيْرُهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؟ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة:٢١]. لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ، مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِيَدْعُوا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ. قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَحْدُثُ لَوْ عَبَدْنَا غَيْرَ اللهِ؟

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الشِّرْكُ يَا حَسَّانُ، وَهُوَ أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَأَخْطَرُهَا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ. فَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يُشْرِكُ بِاللهِ، فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ظُلْمًا عَظِيمًا، وَلَا يُغْفَرُ لَهُ ذَلِكَ الذَّنْبُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨]. وَالشِّرْكُ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ خَاسِرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

رَزَانُ: إِذَنْ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ اللهَ فَقَطْ وَنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! نُحِبُّ اللهَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَنُطِيعُ أَمْرَهُ، وَنَتَجَنَّبُ نَهْيَهُ، وَنَعْبُدُهُ بِإِخْلَاصٍ. هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ كُلُّ الرُّسُلِ وَكُلُّ الْكُتُبِ الْإِلَاهِيَّةِ.

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **تَسْنِيمُ**: أَنَا يَا أَبِي تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا.
- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ كَلِمَةَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" تَعْنِي أَنَّنَا لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَلَا نَدْعُو إِلَّا هُوَ.
- **رَيَّانُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ هُوَ أَكْبَرُ الذُّنُوبِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْهُ تَمَامًا.

• **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ طَاعَةَ اللهِ وَعِبَادَتَهُ بِإِخْلَاصٍ هِيَ أَفْضَلُ شَيْءٍ نَفْعَلُهُ فِي حَيَاتِنَا.

***

لِمَاذَا نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ؟

أَحْبَابِي الشُّجْعَانَ، لَقَدْ تَعَلَّمْنَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ الْوَاحِدُ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُدَبِّرُ كُلَّ أُمُورِ الْكَوْنِ، وَلَهُ أَجْمَلُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَالْآنَ، لِنَتَكَلَّمَ عَنْ سِرٍّ عَظِيمٍ مِنْ أَسْرَارِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ: لِمَاذَا نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا؟ هَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ الَّذِي تَكَلَّمْنَا عَنْهُ فِي بِدَايَةِ قَصَصِنَا.

حَسَّانُ: يَعْنِي أَنَّنَا لَا نَدْعُو إِلَّا اللهَ، وَلَا نَسْجُدُ إِلَّا لَهُ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا حَسَّانُ! تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ أَنْ نُفْرِدَ اللهَ بِجَمِيعِ الْعِبَادَاتِ. فَلَا نَدْعُو إِلَّا هُوَ، وَلَا نَخَافُ إِلَّا مِنْهُ خَوْفَ الْعِبَادَةِ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا نَسْتَغِيثُ إِلَّا بِهِ فِي الشَّدَائِدِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا هُوَ، وَلَا نَنْذُرُ إِلَّا لَهُ، وَلَا نَذْبَحُ إِلَّا لَهُ. كُلُّ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

رَزَانُ: وَلِمَاذَا هَذَا الْأَمْرُ مُهِمٌّ جِدًّا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: هَذَا هُوَ أَكْبَرُ الْأُمُورِ فِي دِينِنَا يَا رَزَانُ!

- **أَوَّلًا**: لِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ. فَمَنْ خَلَقَ كُلَّ هَذَا الْكَوْنَ وَيَرْعَاهُ، أَلَيْسَ هُوَ الْأَحَقَّ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ؟
- **ثَانِيًا**: كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ رِسَالَتُهُمُ الْأَسَاسِيَّةُ هِيَ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ فِي الْعِبَادَةِ.
- **ثَالِثًا**: الْإِسْلَامُ كُلُّهُ يَقُومُ عَلَىٰ هَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ. الصَّلَاةُ، الزَّكَاةُ، الصِّيَامُ، الْحَجُّ، كُلُّهَا عِبَادَاتٌ مُوَجَّهَةٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

رَيَّانُ: وَمَاذَا لَوْ عَبَدَ النَّاسُ غَيْرَ اللهِ؟

الْأَبُ: هَذَا مَا نُسَمِّيهِ الشِّرْكَ يَا رَيَّانُ. وَالشِّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَأَكْبَرُهَا. الشِّرْكُ هُوَ أَنْ نَجْعَلَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ، سَوَاءً كَانَ هَذَا الشَّرِيكُ نَبِيًّا، أَوْ مَلَكًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ شَجَرًا، أَوْ حَجَرًا، أَوْ قَبْرًا.

تَسْنِيمُ: وَلِمَاذَا هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ؟

الْأَبُ: لِأَنَّهُ ظُلْمٌ عَظِيمٌ. تَخَيَّلُوا مَلِكًا خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْعَاهُ، ثُمَّ يَأْتِي أَحَدٌ وَيَعْبُدُ غَيْرَهُ! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وَالشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء:٤٨]. وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي النَّارِ خَالِدًا أَبَدًا.

رَزَانُ: يَعْنِي يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ جِدًّا مِنَ الشِّرْكِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ! وَلَيْسَ فَقَطِ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ، بَلْ هُنَاكَ أَيْضًا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، مِثْلُ الرِّيَاءِ. الرِّيَاءُ هُوَ أَنْ تَفْعَلَ الْعِبَادَةَ لِتُرِيَ النَّاسَ وَتَسْمَعَ مَدْحَهُمْ، وَلَيْسَ فَقَطْ لِوَجْهِ اللهِ. فَمَثَلًا، إِذَا صَلَّيْتَ لِكَيْ يَقُولَ النَّاسُ عَنْكَ "مُصَلٍّ"، فَهَذَا رِيَاءٌ. يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ وَإِخْلَاصًا لَهُ.

رَيَّانُ: وَكَيْفَ نَحْمِي أَنْفُسَنَا مِنَ الشِّرْكِ؟

الْأَبُ: نَحْمِي أَنْفُسَنَا مِنَ الشِّرْكِ بِأَنْ نَتَعَلَّمَ تَوْحِيدَ اللهِ وَنَفْهَمَهُ جَيِّدًا، وَنُحَافِظَ عَلَىٰ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ الَّتِي تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. وَنَدْعُو اللهَ دَائِمًا أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَيُجَنِّبَنَا الشِّرْكَ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ».

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ أَهَمِّيَّةِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِجَمِيعِ الْعِبَادَاتِ.
- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الشِّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَهُوَ أَنْ نَجْعَلَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ.
- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: اللهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُخْلِصَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَنَبْتَعِدَ عَنِ الرِّيَاءِ.
- **تَسْنِيمُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: نَدْعُو اللهَ دَائِمًا أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَيُجَنِّبَنَا الشِّرْكَ.

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ فَهِمْنَا أَهَمَّ رُكْنٍ فِي عَقِيدَتِنَا، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ فِي عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ.

***

قِصَّةُ حِمَايَةِ التَّوْحِيدِ

أَبْنَائِيَ الْأَبْطَالَ، الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرٍ مُهِمٍّ جِدًّا فِي دِينِنَا، وَهُوَ كَيْفَ نُحَافِظُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، أَيْ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ أَحَدًا. هَذَا الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِكَيْفِيَّةِ تَعَامُلِنَا مَعَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

حَسَّانُ: وَهَلْ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ فِي قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يَا أَبِي؟ أَلَيْسَتْ أَمَاكِنَ مُبَارَكَةً؟

الْأَبُ: هِيَ أَمَاكِنُ دَفْنٍ لِأُنَاسٍ صَالِحِينَ نُحِبُّهُمْ وَنَحْتَرِمُهُمْ يَا حَسَّانُ، لَوْ تَأَكَّدْنَا مِنْ صَلَاحِهِمْ. وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ تَحْدُثُ عِنْدَمَا يُبَالِغُ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَعْظِيمِهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، فَيَتَحَوَّلُ الْأَمْرُ إِلَىٰ شَيْءٍ يُخَالِفُ مَا أَمَرَنَا بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَزَانُ: وَمَا هُوَ هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ؟

الْأَبُ: لَقَدْ حَذَّرَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْذِيرًا شَدِيدًا مِنْ اتِّخَاذِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، أَوْ أَمَاكِنَ نَعْبُدُ اللهَ عِنْدَهَا بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ، أَوْ نَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا بِالدُّعَاءِ أَوِ الطَّوَافِ أَوِ الذَّبْحِ.

دَعُونِي أَقُصُّ عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا قَالَهُ نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ حَوْلَ هَذَا الْأَمْرِ:

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، قَالَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»". (١)

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

تَخَيَّلُوا يَا أَوْلَادِي، لَقَدْ دَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّعْنَةِ! وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَطِيرٌ جِدًّا وَمُخَالِفٌ لِتَعَالِيمِ دِينِنَا. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بَالَغُوا فِي تَعْظِيمِ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ حَتَّىٰ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ جَعَلُوا قُبُورَهُمْ أَمَاكِنَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ لِلَّهِ مِنْ خِلَالِهِمْ، وَهَذَا يَفْتَحُ بَابًا لِلشِّرْكِ بِاللهِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الْأَعْظَمُ.

النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْقُبُورِ أَوْ إِلَيْهَا:

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَىٰ الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا».(١)

هَذَا الْحَدِيثُ وَاضِحٌ يَا صِغَارِي. يَنْهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ بِاتِّجَاهِ الْقُبُورِ أَوِ الْجُلُوسِ عَلَيْهَا لِلْعِبَادَةِ. الصَّلَاةُ تَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالتَّوَجُّهُ يَكُونُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ فَقَطْ.

حِمَايَةُ التَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ وَسِيلَةٍ لِلشِّرْكِ:

لَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا جِدًّا عَلَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ، وَأَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ دُونَ أَيِّ وَسِيطٍ أَوْ شَرِيكٍ. لِذَلِكَ، نَهَىٰ عَنْ كُلِّ مَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الشِّرْكِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ فِي بِدَايَتِهِ مُجَرَّدَ تَعْظِيمٍ.

لَقَدْ رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي تَعْظِيمِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ قَدْ تَدْفَعُ النَّاسَ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ إِلَىٰ دُعَائِهِمْ، أَوْ طَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ، أَوِ الِاعْتِقَادِ بِأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ، وَهَذَا كُلُّهُ شِرْكٌ بِاللهِ.

رَيَّانُ: إِذَنْ، نَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّنَا نُحِبُّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، لَكِنْ لَا نَعْبُدُهُمْ وَلَا نَتَوَجَّهُ بِالْعِبَادَةِ لِقُبُورِهِمْ؟

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ. نَحْنُ نُحِبُّ أَنْبِيَاءَنَا وَرُسُلَنَا وَصَالِحِينَا، وَنَقْتَدِي بِهِمْ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالرَّحْمَةِ، وَنَزُورُ قُبُورَهُمْ لِلدُّعَاءِ لَهُمْ فَقَطْ وَلِلتَّذَكُّرِ بِالْمَوْتِ. لَكِنَّنَا لَا نَعْبُدُهُمْ، وَلَا نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ، وَلَا نَظُنُّ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَنَا أَوْ يَنْفَعُونَنَا أَوْ يَضُرُّونَنَا. الْعِبَادَةُ وَالدُّعَاءُ وَكُلُّ أَنْوَاعِ التَّذَلُّلِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ "حِمَايَةِ التَّوْحِيدِ"؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ يَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ الْخَالِصِ، أَيْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ شَرِيكٍ.
- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذَّرَنَا بِشِدَّةٍ مِنْ اتِّخَاذِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ أَوْ أَمَاكِنَ لِلْعِبَادَةِ.
- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: هَذَا التَّحْذِيرُ جَاءَ لِمَنْعِ أَيِّ طَرِيقٍ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الْأَعْظَمُ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: نَحْنُ نُحِبُّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، لَكِنَّنَا لَا نَعْبُدُهُمْ وَلَا نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ أَوْ طَلَبِ الْحَاجَاتِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.
- **تَسْنِيمُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْمُسْلِمُ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، وَيُصَلِّي لَهُ وَحْدَهُ، وَيَدْعُو لَهُ وَحْدَهُ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

***

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: مَنْ أَوْجَدَ كُلَّ شَيْءٍ؟

أَحْبَابِيَ الْكِرَامَ، انْظُرُوا حَوْلَكُمْ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْكَبِيرِ. كَيْفَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ كُلَّ صَبَاحٍ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ؟ وَكَيْفَ تَغْرُبُ فِي مَكَانٍ آخَرَ؟ وَكَيْفَ يَأْتِي اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارِ ثُمَّ يَعُودُ النَّهَارُ؟

حَسَّانُ: الشَّمْسُ مُنْتَظِمَةٌ جِدًّا يَا أَبِي!

رَزَانُ: وَالْقَمَرُ يَظْهَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ!

تَسْنِيمُ: السَّمَاءُ بِارْتِفَاعِهَا وَالْأَرْضُ بِجِبَالِهَا وَنَبَاتِهَا!

رَيَّانُ: وَالْأَشْجَارُ تُثْمِرُ، وَالْمَطَرُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ. مَنْ يَفْعَلُ كُلَّ هَذَا؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ يَا رَيَّانُ! دَعُونِي أَحْكِ لَكُمْ مِثَالًا. لَوْ كَانَ لَدَيْنَا سَيَّارَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتَشَكَّلَ هَذِهِ السَّيَّارَةُ بِنَفْسِهَا؟ أَوْ أَنْ تَعْمَلَ دُونَ صَانِعٍ قَوِيٍّ وَعَالِمٍ بِكُلِّ أَجْزَائِهَا؟

حَسَّانُ: لَا يَا أَبِي! لَا بُدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ مَاهِرٍ وَقَوِيٍّ!

رَزَانُ: صَحِيحٌ! وَإِلَّا لَمْ تَعْمَلْ أَبَدًا.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ! وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ يَا أَبْنَائِي، هَذَا الْكَوْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ. انْظُرُوا إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَنَا: هَذِهِ السَّمَاوَاتُ الْعَالِيَةُ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي نَمْشِي عَلَيْهَا، وَهَذِهِ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، وَهَذِهِ الْبِحَارُ الْوَاسِعَةُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ. مَنْ خَلَقَ كُلَّ هَذَا؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهَا؟ وَمَنْ يَرْزُقُ كُلَّ الْخَلَائِقِ فِيهَا؟

رَيَّانُ: إِنَّهُ اللهُ يَا أَبِي!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. إِنَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هُوَ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ. وَهُوَ الرَّازِقُ الَّذِي يَرْزُقُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ: الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ. وَهُوَ الْمُدَبِّرُ

الَّذِي يُسَيِّرُ الْكَوْنَ بِكُلِّ دِقَّةٍ وَنِظَامٍ. الشَّمْسُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ غَيْرِ مَكَانِهَا، وَالْقَمَرُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُغَيِّرَ مَسَارَهُ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ.

حَسَّانُ: إِذَنْ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ هَذَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ. اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ، وَالرَّازِقُ، وَالْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ. لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا مُعِينَ لَهُ فِي تَدْبِيرِ أَمْرِهِ. فَهَذَا يُسَمَّىٰ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ، وَرَزَقَ، وَأَحْيَا، وَأَمَاتَ، وَيُدَبِّرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ.

رَيَّانُ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ خَالِقٍ لِهَذَا الْكَوْنِ؟

الْأَبُ: لَا يَا بُنَيَّ. الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَالْفِطْرَةُ السَّوِيَّةُ تُخْبِرُنَا أَنَّ الْخَالِقَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ خَالِقٍ، لَوَقَعَ الْخِلَافُ وَالتَّنَازُعُ بَيْنَهُمْ، وَلَفَسَدَ الْكَوْنُ. فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [سورة الأنبياء:٢٢]. وَهَكَذَا الْكَوْنُ، لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِخَالِقٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: نَتَعَلَّمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ لَهُ خَالِقٌ وَمُدَبِّرٌ.
- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ.

- رَيَّانُ: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ أُمُورَ الْكَوْنِ كُلِّهَا، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ وَلَا فِي أَمْرِهِ.
- رَزَانُ: يَا أَبِي، تَعَلَّمْتُ أَنَّ وُجُودَ الْكَوْنِ الْمُنَظَّمِ بِهَذَا الشَّكْلِ هُوَ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَإِلَّا لَفَسَدَ الْكَوْنُ كَمَا أَخْبَرَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
- تَسْنِيمُ: تَعَلَّمْتُ أَنَّ مَعْنَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِأَفْعَالِهِ، وَأَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ.

أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. حَفِظَكُمُ اللهُ لِلتَّوْحِيدِ مَنَارًا، وَجَعَلَكُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّبِعِينَ.

***

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: اللَّهُ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ

أَحْبَائِي الشُّجْعَانَ! فِي الْقِصَصِ السَّابِقَةِ، تَعَلَّمْنَا أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي نَعْبُدُهُ. الْيَوْمَ سَنَتَعَلَّمُ عَنْ نَوْعٍ آخَرَ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ. هَذَا مَا نُسَمِّيهِ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمُدَبِّرُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: يَعْنِي يَا حَسَّانُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، الْبِحَارَ وَالْجِبَالَ، النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ. لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُ.

رَزَانُ: حَتَّىٰ أَنْفُسَنَا، اللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ! وَهُوَ أَيْضًا الرَّازِقُ، يَعْنِي هُوَ الَّذِي يُعْطِينَا كُلَّ مَا نَحْتَاجُهُ فِي حَيَاتِنَا: الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، الصِّحَّةَ وَالْقُوَّةَ. وَيَرْزُقُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ عَلَى الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الروم:٤٠].

رَيَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي الْمُدَبِّرُ؟

الْأَبُ: الْمُدَبِّرُ يَا رَيَّانُ، يَعْنِي أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ أُمُورَ الْكَوْنِ كُلِّهِ. هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ السَّحَابَ وَيُنْزِلُ الْمَطَرَ، وَيُدِيرُ تَعَاقُبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُنَظِّمُ حَرَكَةَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ. لَا شَيْءَ يَحْدُثُ إِلَّا بِأَمْرِهِ وَإِذْنِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة السجدة:٥]. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

حَسَّانُ: هَلْ كُلُّ النَّاسِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، مُعْظَمُ النَّاسِ، حَتَّىٰ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ. هَذَا الْإِقْرَارُ يُسَمَّىٰ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ. وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُخْبِرُنَا عَنْ ذَلِكَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٨٧].

وَلَكِنَّهُمْ لِلْأَسَفِ لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَضَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بَلْ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ وَأَشْرَكُوا بِاللهِ.

تَسْنِيمُ: إِذَنْ، إِذَا كَانَ اللهُ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمُدَبِّرُ، فَهَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا تَسْنِيمُ. هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْأَهَمُّ. بِمَا أَنَّ اللهَ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُدَبِّرُ، فَمِنَ الْعَقْلِ وَالْإِنْصَافِ أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّوْحِيدِ (تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ) يَجْعَلُنَا نُؤْمِنُ بِاللهِ، وَيَقُودُنَا إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ فِي الْعِبَادَةِ (تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ) الَّذِي تَكَلَّمْنَا عَنْهُ سَابِقًا.

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ:** نَتَعَلَّمُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ.
- **حَسَّانُ:** يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ نَرَاهُ حَوْلَنَا خَلَقَهُ اللهُ، وَأَنَّهُ يُعْطِينَا كُلَّ مَا نَحْتَاجُهُ.
- **رَيَّانُ:** وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ كُلَّ الْأُمُورِ، فَنَشْعُرُ بِالْأَمَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ.

- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ إِيمَانَنَا بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ يَجْعَلُنَا نَتَأَكَّدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ.
- **تَسْنِيمُ**: وَأَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَمْ يَنْفَعْهُمُ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُوَحِّدُوا اللهَ بِأُلُوهِيَّتِهِ بَلْ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ وَأَشْرَكُوا بِاللهِ فَأَدْخَلَهُمُ اللهُ عَذَابَ الْجَحِيمِ.

***

تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: مَا هِيَ صِفَاتُ اللهِ وَأَسْمَاؤُهُ؟

أَبْنَائِيَ الْأَبْطَالَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي نَعْبُدُهُ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُدَبِّرُهُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ جَمِيلَةً وَعَظِيمَةً تُخْبِرُنَا عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

رَيَّانُ: وَمَا هِيَ أَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتُهُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ مُبَارَكٌ يَا رَيَّانُ! دَعُونِي أَحْكِ لَكُمْ عَنْ كَيْفَ نَعْرِفُ اللهَ. تَخَيَّلُوا أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ عَنْ مُهَنْدِسٍ بَنَىٰ بَيْتًا عَظِيمًا جِدًّا، فَقِيلَ لَكُمْ: "إِنَّ هَذَا الْمُهَنْدِسَ ذَكِيٌّ، وَقَوِيٌّ، وَخَبِيرٌ، وَرَحِيمٌ بِالْعُمَّالِ." هَلْ سَتَفْهَمُونَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَنَّهُ مُهَنْدِسٌ عَظِيمٌ وَمُبْدِعٌ؟

حَسَّانُ: نَعَمْ يَا أَبِي! سَأَعْرِفُ أَنَّهُ مُهَنْدِسٌ رَائِعٌ!

رَزَانُ: صَحِيحٌ! وَسَأَتَمَنَّىٰ أَنْ أَرَاهُ.

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ! وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ مَعَ رَبِّنَا الْعَظِيمِ. اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ لَهُ أَسْمَاءٌ حُسْنَىٰ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَصِفَاتٌ عُلْيَا لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ بِهَا نَعْرِفُ رَبَّنَا، وَنُحِبُّهُ، وَنَعْبُدُهُ وَحْدَهُ.

رَيَّانُ: هَلْ يُوجَدُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ. مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ: "الرَّحْمَنُ"، وَهُوَ يَعْنِي ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ. وَ "الرَّحِيمُ"، يَعْنِي ذُو الرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَ "الْقَوِيُّ"، يَعْنِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ. وَ "الْعَلِيمُ"، يَعْنِي الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَ "السَّمِيعُ"، يَعْنِي الَّذِي يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. وَ "الْبَصِيرُ"، يَعْنِي الَّذِي يَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ مَا فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ وَفَوْقَ السَّمَاوَاتِ.

رَزَانُ: مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ!

الْأَبُ: وَالْأَهَمُّ يَا أَحْبَابِي، أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا سَمَّىٰ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِمَعْنَاهَا، وَلَا تَشْبِيهٍ لِصِفَاتِهِ بِصِفَاتِ الْبَشَرِ، وَلَا سُؤَالٍ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا.

حَسَّانُ: مَاذَا تَعْنِي "مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِمَعْنَاهَا"؟

الْأَبُ: يَعْنِي إِذَا قَالَ اللهُ إِنَّهُ "سَمِيعٌ"، فَهُوَ يَسْمَعُ حَقِيقَةً كَمَا يَلِيقُ بِهِ، لَيْسَ كَسَمْعِنَا. وَإِذَا قَالَ إِنَّهُ "قَوِيٌّ"، فَهُوَ قَوِيٌّ بِحَقٍّ، لَيْسَ كَقُوَّتِنَا. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهَا كَمَا جَاءَتْ، وَنُصَدِّقُ بِهَا، دُونَ أَنْ نُحَرِّفَ مَعْنَاهَا أَوْ نُشَبِّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ. فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]. هَذَا يُسَمَّىٰ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

تَسْنِيمُ: إِذَنْ اللهُ لَيْسَ مِثْلَ الْبَشَرِ فِي صِفَاتِهِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي. اللهُ عَظِيمٌ، صِفَاتُهُ كَامِلَةٌ وَخَاصَّةٌ بِهِ، لَا يُشْبِهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ. هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ. وَجَاءَ فِي حَدِيثِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ:** نَتَعَلَّمُ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ عَظِيمَةً.
- **حَسَّانُ:** يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُ أَسْمَاءٌ حُسْنَىٰ وَصِفَاتٌ عُلْيَا، مِثْلَ: الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ، الْقَوِيِّ، الْعَلِيمِ، السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ.

- **رَيَّانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَمَا جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، دُونَ أَنْ نُغَيِّرَ مَعْنَاهَا أَوْ نُشَبِّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ.
- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُهُ تَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.
- **تَسْنِيمُ**: أَبِي، أُرِيدُ أَنْ أَحْفَظَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْكَثِيرَ، فَأَذْكُرْ لَنَا مِنْهَا لِنَحْفَظَهَا وَنَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا حَتَّىٰ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ يَا أَبِي.

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا تَسْنِيمُ! وَمَنْ حَفِظَهَا مِنْكُمْ سَأُعْطِيهِ جَائِزَةً جَمِيلَةً إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَالْآنَ، مِنْ أَسْمَاءِ رَبِّنَا وَخَالِقِنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَلَّ فِي عُلَاهُ:

"اللهُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْمَلِكُ، الْحَقُّ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْعَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْبَرُّ، الْمُتَعَالُ، الْجَلِيلُ، الْجَمِيلُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْقَادِرُ، الْقَاهِرُ، الْعَلِيُّ، الْحَكِيمُ، الْقَرِيبُ، الْمُجِيبُ، الْغَنِيُّ، الْوَهَّابُ، الْوَدُودُ، الشَّكُورُ، الْمَاجِدُ، الْوَاجِدُ، الْوَالِي، الرَّاشِدُ، الْعَفُوُّ، الْغَفُورُ، الْحَلِيمُ، الْكَرِيمُ، التَّوَّابُ، الرَّبُّ، الْمَجِيدُ، الْوَلِيُّ، الشَّهِيدُ، الْمُبِينُ، الْبُرْهَانُ، الرَّءُوفُ، الرَّحِيمُ، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْبَاعِثُ، الْوَارِثُ، الْقَوِيُّ، الشَّدِيدُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْبَاقِي، الْوَاقِي، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، الْمُقْسِطُ، الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، الْقَائِمُ، الدَّائِمُ، الْحَافِظُ، الْوَكِيلُ، الْفَاطِرُ، السَّامِعُ، الْمُعْطِي، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْمَانِعُ، الْجَامِعُ، الْهَادِي، الْكَافِي، الْأَبَدُ، الْعَالِمُ، الصَّادِقُ، النُّورُ، الْمُنِيرُ، التَّامُّ، الْقَدِيمُ، الْوَتْرُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ".

***

مَنْ هُمُ الْمَلَائِكَةُ؟

الْأَبُ: أَحْبَائِي الْكِرَامَ! الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ مَخْلُوقَاتٍ عَجِيبَةٍ وَمُبَارَكَةٍ خَلَقَهَا اللهُ مِنْ نُورٍ، لَا يَعْصُونَ اللهَ أَبَدًا، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. هَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ هُمْ؟

رَيَّانُ: هَلْ هُمْ مَوْجُودُونَ حَقًّا؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ جَمِيلٌ يَا رَيَّانُ! نَعَمْ، هُمْ مَوْجُودُونَ وَهُمْ مَخْلُوقَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ. خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ نُورٍ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً عَظِيمَةً، وَجَعَلَهُمْ يَقُومُونَ بِوَظَائِفَ مُهِمَّةٍ فِي الْكَوْنِ.

رَيَّانُ: مَاذَا يَفْعَلُونَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: إِنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَا أَوْلَادِي، لَهُمْ وَظَائِفُ كَثِيرَةٌ يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَمِنْهُمْ:

- جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَهُوَ الْمَلَكُ الْأَمِينُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَقَدْ نَزَلَ بِالْقُرْآنِ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْمَطَرِ وَالْأَرْزَاقِ.
- إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- مَلَكُ الْمَوْتِ: هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ.

الْأَبُ: وَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هُنَاكَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِأَعْمَالٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا لَنَا نَحْنُ الْبَشَرَ؟

حَسَّانُ: مِثْلَ مَاذَا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: مِثْلَ الْمَلَكَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ: رَقِيبٍ وَعَتِيدٍ. هَذَانِ الْمَلَكَانِ يُلَازِمَانِ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَيَكْتُبَانِ كُلَّ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ. فَأَحَدُهُمَا يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَالْآخَرُ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ. وَهَذَا يُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ يَرَىٰ وَيَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا مُسَجَّلَةٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [سورة ق:١٧-١٨].

رَزَانُ: وَمَاذَا يَحْدُثُ بَعْدَ الْمَوْتِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: عِنْدَمَا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فِي الْقَبْرِ لِيَسْأَلَاهُ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ. هَذَانِ الْمَلَكَانِ هُمَا: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ. سُؤَالُهُمَا مُهِمٌّ جِدًّا، وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ اللهَ وَيَعْمَلُ بِدِينِهِ وَيُحَافِظُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي وَقْتِهَا وَلَا يُشْرِكُ بِاللهِ سَيُجِيبُ بِسُهُولَةٍ. أَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِجَابَةَ. وَهَذَا يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ الْأَهَمُّ فِي حَيَاتِنَا.

رَيَّانُ: هَلْ هُنَاكَ مَلَائِكَةٌ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيَّانُ، هُنَاكَ مَلَائِكَةٌ عَظِيمُونَ جِدًّا هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ. الْعَرْشُ هُوَ أَكْبَرُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ سَقْفُ الْجَنَّةِ. وَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ يَحْمِلُونَ عَرْشَ الرَّحْمَنِ، وَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا وَقُوَّةً، وَهُمْ دَائِمًا يُسَبِّحُونَ اللهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [سورة غافر:٧].

وَالْمَلَائِكَةُ كَثِيرُونَ جِدًّا، لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ، وَلَا يَتْعَبُونَ أَبَدًا، بَلْ هُمْ دَائِمًا فِي طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ. فِي الْعَادَةِ لَا نَرَاهُمْ، فَاللهُ أَخْفَاهُمْ عَنَّا بِحِكْمَتِهِ. لَكِنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ مَرَّتَيْنِ. نَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِمْ وَبِوُجُودِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ اللهَ

أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَى**: نَتَعَلَّمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَخْلُوقَاتٌ مِنْ نُورٍ، وَهُمْ لَا يَعْصُونَ اللهَ أَبَدًا.
- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ وَظَائِفَ مُهِمَّةً، مِثْلَ جِبْرِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمَلَكِ الْمَوْتِ، وَمَالِكٍ.
- **رَيَّانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ رَقِيبًا وَعَتِيدًا يَكْتُبَانِ كُلَّ أَعْمَالِنَا، وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِأَنْ نَفْعَلَ الْخَيْرَ دَائِمًا.
- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا سَيَسْأَلَانِ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ، وَهَذَا يَجْعَلُنِي أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ دِينِي جَيِّدًا لِأُجِيبَ.
- **تَسْنِيمُ**: وَتَعَلَّمْنَا أَنَّ هُنَاكَ مَلَائِكَةً عَظِيمِينَ هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ اللهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَنَا.

وَخِتَامًا يَا أَوْلَادِي، كُلُّ هَذَا يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَخْبَرَانَا بِذَلِكَ.

***

الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ: مَا هِيَ كُتُبُ اللَّهِ؟

أَحْبَابِي الْأَخْيَارَ! الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ كُتُبٍ عَظِيمَةٍ أَرْسَلَهَا اللهُ لَنَا، هِيَ كَالرَّسَائِلِ الَّتِي تُعَلِّمُنَا الْخَيْرَ وَتُرْشِدُنَا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ. هَلْ تَعْرِفُونَ مَا هِيَ هَذِهِ الْكُتُبُ؟

رَيَّانُ: هَلْ هِيَ كَالْكُتُبِ الَّتِي نَقْرَؤُهَا فِي الْمَدْرَسَةِ؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ يَا رَيَّانُ! هِيَ كُتُبٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَأَيِّ كُتُبٍ. إِنَّهَا الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى رُسُلِهِ الْكِرَامِ لِتُعَلِّمَ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، وَكَيْفَ يَعِيشُونَ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

حَسَّانُ: هَلْ هِيَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، اللهُ أَنْزَلَ كُتُبًا كَثِيرَةً عَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهَا كُلِّهَا. **وَمِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْكُتُبِ:**

- التَّوْرَاةُ: أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- الْإِنْجِيلُ: أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- الزَّبُورُ: أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى: وَهِيَ صُحُفٌ أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمَا.
- وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْكُتُبِ وَآخِرُهَا هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَزَانُ: وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْكُتُبِ الْأُخْرَى؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ ذَكِيٌّ يَا رَزَانُ! الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ الْكِتَابُ الْأَخِيرُ وَالْكَامِلُ، وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ مِنْ أَيِّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُغَيِّرَ فِيهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَمَّا

الْكُتُبُ الَّتِي قَبْلَهُ، فَقَدْ دَخَلَهَا التَّغْيِيرُ وَالتَّحْرِيفُ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَنِ بِأَيْدِي الْبَشَرِ. لِذَلِكَ، الْقُرْآنُ هُوَ الْمَرْجِعُ الْأَسَاسِيُّ لَنَا، وَهُوَ يُصَدِّقُ مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مِنْ حَقٍّ، وَيُبَيِّنُ الْأَحْكَامَ الَّتِي نَعْمَلُ بِهَا. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].

رَيَّانُ: إِذَنْ نَحْنُ نُؤْمِنُ بِكُلِّ الْكُتُبِ، وَلَكِنْ نَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ فَقَطْ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! نَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ أَنْزَلَ كُتُبًا عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُ بِهَا إِجْمَالًا، وَنُصَدِّقُ بِأَسْمَاءِ مَا سَمَّاهُ اللهُ لَنَا. وَنَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَىٰ الْكُتُبِ كُلِّهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ: نَتَعَلَّمُ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ كُتُبًا هِيَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِهِدَايَةِ النَّاسِ.
- حَسَّانُ: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَسْمَاءَ بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، مِثْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ.
- رَيَّانُ: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ وَأَكْمَلُهَا، وَأَنَّ اللهَ حَفِظَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ، بِخِلَافِ الْكُتُبِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي حُرِّفَتْ.

- **تَسْنِيمُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ، وَنَعْمَلُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي وَصَلَنَا كَامِلًا وَمَحْفُوظًا.

***

مَنْ هُمُ الرُّسُلُ؟

الْأَبُ: أَحْبَائِي الْأَخْيَارَ! تَخَيَّلُوا أَنَّ مَلِكًا عَظِيمًا يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ الْخَيْرَ، وَيُرْشِدَهُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ الطُّرُقِ لِلسَّعَادَةِ. فَهَلْ يَتَكَلَّمُ الْمَلِكُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُبَاشَرَةً؟ أَمْ يُرْسِلُ لَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ؟

حَسَّانُ: يُرْسِلُ لَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ!

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ! هَكَذَا الْأَمْرُ مَعَ رَبِّنَا الْعَظِيمِ. اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقَنَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ لَا تُحْصَىٰ، وَهُوَ يُرِيدُ لَنَا الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَلِذَلِكَ أَرْسَلَ لَنَا رِجَالًا صَالِحِينَ وَمُخْتَارِينَ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ، لِيُعَلِّمُونَا دِينَ اللهِ، وَيُبَيِّنُوا لَنَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

رَيَّانُ: وَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الْكِرَامُ؟

الْأَبُ: الرُّسُلُ كَثِيرُونَ جِدًّا، لَا نَعْرِفُ عَدَدَهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ التَّحْدِيدِ إِلَّا اللهُ. لَكِنَّ اللهَ أَخْبَرَنَا بِأَسْمَاءِ بَعْضِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ. مِنْ أَشْهَرِهِمْ: آدَمُ، نُوحٌ، إِبْرَاهِيمُ، مُوسَىٰ، عِيسَىٰ، وَخَاتَمُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا فِي كِتَابِ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ.

هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ دَعَوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَاءُوا بِدِينٍ وَاحِدٍ أَسَاسُهُ التَّوْحِيدُ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بَعْضُ الشَّرَائِعِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦].

رَزَانُ: هَلْ هُمْ كُلُّهُمْ صَادِقُونَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ! الرُّسُلُ كُلُّهُمْ صَادِقُونَ وَأُمَنَاءُ، وَمُصَدَّقُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللهِ. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبُوا أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللهَ اخْتَارَهُمْ لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيمَةِ. وَكَانُوا أَكْمَلَ النَّاسِ خُلُقًا وَسُلُوكًا.

حَسَّانُ: مَا وَاجِبُنَا نَحْوَهُمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: وَاجِبُنَا نَحْوَهُمْ يَا وَلَدِي أَنْ نُؤْمِنَ بِهِمْ جَمِيعًا، وَنُصَدِّقَ بِكُلِّ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَنُحِبَّهُمْ وَنُجِلَّهُمْ. وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَشَرِيعَتُهُ هِيَ الَّتِي نَتَّبِعُهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **حَسَّانُ**: نَتَعَلَّمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسُلًا لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ وَتَعْلِيمِهِمُ الْحَقَّ.
- **رَيَّانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ دَعَوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَهُمْ صَادِقُونَ وَأُمَنَاءُ.
- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ خَاتَمُ الرُّسُلِ وَأَفْضَلُهُمْ، وَأَنَّ شَرِيعَتَهُ هِيَ الَّتِي نَتَّبِعُهَا وَأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

- **تَسْنِيمُ**: وَتَعَلَّمْنَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ هُوَ جُزْءٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ إِيمَانِنَا، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

***

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: وَمَاذَا يَحْدُثُ بَعْدَ الْمَوْتِ؟

أَبْنَائِيَ الْأَبْطَالَ، فِي حَيَاتِنَا نَلْعَبُ وَنَدْرُسُ وَنَعْمَلُ، وَلَكِنْ هَلْ فَكَّرْتُمْ يَوْمًا مَاذَا يَحْدُثُ بَعْدَ أَنْ تَنْتَهِيَ حَيَاتُنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟

أَبْنَائِي، الْحَقِيقَةُ أَعْظَمُ وَأَجْمَلُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا. اللهُ الْعَظِيمُ خَلَقَنَا لِحِكْمَةٍ، وَحَيَاتُنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَيْسَتْ هِيَ النِّهَايَةَ. بَعْدَ الْمَوْتِ، هُنَاكَ حَيَاةٌ أُخْرَى خَالِدَةٌ لَا تَنْتَهِي أَبَدًا، وَهَذَا مَا نُسَمِّيهِ الْيَوْمَ الْآخِرَ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَحْدُثُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ سَيُعِيدُ اللهُ الْأَرْوَاحَ إِلَى الْأَجْسَادِ، وَيُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَقُومُونَ لِيُحَاسَبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا. هَذَا يُسَمَّى الْبَعْثَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٥-١٦].

رَيَّانُ: وَكَيْفَ سَيُحَاسِبُنَا اللهُ؟

الْأَبُ: سَيُحَاسِبُنَا اللهُ بِعَدْلٍ لَا ظُلْمَ فِيهِ. فَكُلُّ مَا فَعَلْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، سَنَجِدُهُ أَمَامَنَا. سَتُعْرَضُ عَلَيْنَا صَحَائِفُ أَعْمَالِنَا الَّتِي كَتَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

رَزَانُ: وَبَعْدَ الْحِسَابِ مَاذَا يَحْدُثُ؟

الْأَبُ: بَعْدَ الْحِسَابِ يَتَّجِهُ النَّاسُ إِلَى مَصِيرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا: إِمَّا الْجَنَّةُ، وَهِيَ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى

قَلْبِ بَشَرٍ. وَإِمَّا النَّارُ، وَهِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [سورة الشورى:٧].

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَجْعَلُنَا نَحْرِصُ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ حِسَابًا وَجَزَاءً. وَهُوَ جُزْءٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧].

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجَمِيلَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: نَتَعَلَّمُ أَنَّ حَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ هِيَ النِّهَايَةَ، بَلْ هُنَاكَ حَيَاةٌ أُخْرَىٰ خَالِدَةٌ هِيَ الْيَوْمُ الْآخِرُ.
- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّنَا سَنُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنُحَاسَبُ عَلَىٰ كُلِّ أَعْمَالِنَا، حَتَّىٰ الصَّغِيرَةِ مِنْهَا.
- **رَيَّانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ الْحِسَابَ سَيَكُونُ عَادِلًا، وَأَنَّ الْجَزَاءَ إِمَّا جَنَّةٌ لِلصَّالِحِينَ، وَإِمَّا نَارٌ لِلظَّالِمِينَ.
- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَجْعَلُنَا نُحِبُّ فِعْلَ الْخَيْرِ وَنَبْتَعِدُ عَنِ الشَّرِّ.

***

قصة: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ (الإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ)

أَبْنَائِيَ الْأَبْطَالُ! فِي حَيَاتِنَا نَرَىٰ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَحْدُثُ: الشَّمْسُ تُشْرِقُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَالْمَطَرُ يَنْزِلُ، وَالْأَشْجَارُ تَنْمُو. وَأَحْيَانًا قَدْ نَمْرَضُ أَوْ نَفْقِدُ شَيْئًا نُحِبُّهُ. هَلْ سَأَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَوْمًا: كَيْفَ تَحْدُثُ كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ؟

حَسَّانُ: هَلْ هِيَ صُدْفَةٌ يَا أَبِي؟

رَزَانُ: أَوْ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُدَبِّرُهَا؟

رَيَّانُ: أَتَمَنَّىٰ أَنْ أَعْرِفَ!

الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ! لَيْسَتْ صُدْفَةً أَبَدًا. كُلُّ مَا يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ، مِنْ أَصْغَرِ ذَرَّةٍ إِلَىٰ أَكْبَرِ مَجَرَّةٍ، وَكُلُّ مَا يَحْدُثُ لَنَا فِي حَيَاتِنَا، كُلُّهُ بِعِلْمِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ. هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ يَعْنِي أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، وَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَشَاءَ لَهُ أَنْ يَكُونَ، وَخَلَقَهُ. فَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر:٤٩]. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

رَيَّانُ: هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ جَمِيلٌ يَا رَيَّانُ! الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَا يَعْنِي أَنَّنَا نَجْلِسُ وَلَا نَعْمَلُ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ الْجُهْدَ وَنَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ. فَالطَّالِبُ يَجْتَهِدُ فِي دِرَاسَتِهِ

لِيَنْجَحَ، وَالْفَلَّاحُ يَزْرَعُ أَرْضَهُ لِيَحْصُدَ، وَإِذَا مَرِضْنَا نَذْهَبُ إِلَىٰ الطَّبِيبِ وَنَأْخُذُ الدَّوَاءَ. وَبَعْدَ أَنْ نَبْذُلَ الْجُهْدَ، نَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ وَنَرْضَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ لَنَا.

رَزَانُ: وَمَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: فَوَائِدُهُ عَظِيمَةٌ يَا رَزَانُ!

- **أَوَّلًا:** يَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالرَّاحَةِ؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِ اللهِ وَتَدْبِيرِهِ. فَإِذَا أَصَابَنَا خَيْرٌ شَكَرْنَا اللهَ، وَإِذَا أَصَابَتْنَا مُصِيبَةٌ صَبَرْنَا وَاحْتَسَبْنَا، وَعَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَنَا.
- **ثَانِيًا:** يَجْعَلُنَا نَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ، بَعْدَ أَنْ نَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ.
- **ثَالِثًا:** يُبْعِدُ عَنَّا الْحُزْنَ وَالْقَلَقَ عَلَىٰ مَا فَاتَنَا، أَوْ مَا لَمْ نُدْرِكْهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحديد:٢٢-٢٣].

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ وَالْأَخِيرُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورِ عَنِ الْإِيمَانِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْأَخِيرَةِ؟

- **تَسْنِيمُ:** نَتَعَلَّمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، هُوَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَعِلْمِهِ الْمُسْبَقِ.

- **حَسَّانُ**: يَا أَبِي، أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِالطُّمَأْنِينَةِ، وَنَرْضَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ لَنَا.
- **رَيَّانُ**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَجْلِسَ وَنَتَكَاسَلَ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ الْجُهْدَ وَنَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ، ثُمَّ نَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ.
- **رَزَانُ**: يَا أَبِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُبْعِدُ عَنَّا الْحُزْنَ عَلَىٰ مَا فَاتَنَا، وَيَجْعَلُنَا نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ دَائِمًا.

***

قِصَّةٌ: كَيْفَ نَعِيشُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ؟

أَحْبَائِي الْكِرَامُ، فِي قِصَّتِنَا السَّابِقَةِ، تَعَلَّمْنَا أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً حُسْنَىٰ وَصِفَاتٍ عُلْيَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. الْيَوْمَ، سَنَتَعَلَّمُ كَيْفَ نَجْعَلُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ تُغَيِّرُ حَيَاتَنَا وَتَزِيدُنَا قُرْبًا مِنَ اللهِ.

حَسَّانُ: يَا أَبِي، هَلْ يَعْنِي هَذَا أَنَّنَا نَصِيرُ أَفْضَلَ إِذَا عَرَفْنَا أَسْمَاءَ اللهِ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا حَسَّانُ! نَعَمْ! مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ لَيْسَ مُجَرَّدَ حِفْظٍ، بَلْ هُوَ فَهْمٌ وَتَطْبِيقٌ. لِنَأْخُذْ مِثَالًا: عِنْدَمَا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ هُوَ "الرَّزَّاقُ"، مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ لَنَا؟

رَزَانُ: يَعْنِي أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُعْطِينَا كُلَّ شَيْءٍ نَأْكُلُهُ وَنَشْرَبُهُ وَنَلْبَسُهُ!

الْأَبُ: بَارَكَ اللهُ فِيكِ يَا رَزَانُ! فَعِنْدَمَا نَعْلَمُ أَنَّهُ الرَّزَّاقُ، نَثِقُ بِهِ وَلَا نَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَىٰ كُلِّ نِعْمَةٍ. وَعِنْدَمَا نَرَىٰ فَقِيرًا، نَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ رَزَقَنَا، فَنُعْطِيهِ مِنْ رِزْقِ اللهِ لَنَا.

رَيَّانُ: وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّهُ "السَّمِيعُ" وَ"الْبَصِيرُ"، مَاذَا نَفْعَلُ؟

الْأَبُ: إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ السَّمِيعَ الْبَصِيرَ، فَإِنَّنَا نَحْرِصُ عَلَىٰ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا. لَا نَقُولُ كَلَامًا سَيِّئًا، وَلَا نَفْعَلُ شَيْئًا يُغْضِبُ اللهَ، حَتَّىٰ لَوْ كُنَّا وَحْدَنَا؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَرَانَا وَيَسْمَعُنَا دَائِمًا. هَذَا يَجْعَلُنَا نَخَافُ اللهَ وَنُحِبُّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا عَنْ اسْمِهِ "الْحَكِيمُ"؟

الْأَبُ: اسْمُ اللهِ "الْحَكِيمُ" يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ فِيهِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، حَتَّىٰ لَوْ لَمْ نَفْهَمْهَا فِي الْبِدَايَةِ. فَعِنْدَمَا يُصِيبُنَا مَرَضٌ أَوْ نَخْسَرُ شَيْئًا نُحِبُّهُ، نَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ حَكِيمٌ، وَأَنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا لَنَا قَدْ لَا نَعْلَمُهُ الْآنَ. هَذَا يَجْعَلُنَا نَرْضَىٰ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

رَزَانُ: يَعْنِي نَتَأَدَّبُ مَعَ اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! وَمِنْ أَجْمَلِ مَا نَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ نَدْعُوَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ. فَعِنْدَمَا نُرِيدُ الرِّزْقَ نَقُولُ: "يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي". وَعِنْدَمَا نُرِيدُ الشِّفَاءَ نَقُولُ: "يَا شَافِي اشْفِنِي". وَعِنْدَمَا نُرِيدُ الرَّحْمَةَ نَقُولُ: "يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ارْحَمْنِي". هَذَا يَجْعَلُ دُعَاءَنَا أَقْوَىٰ وَأَقْرَبَ لِلْإِجَابَةِ.

تَسْنِيمُ: هَلْ هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ دُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ! هَذَا هُوَ مَعْنَاهُ. أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا كَمَا جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهَا تَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَكَمَالِهِ، وَلَا نُشَبِّهُهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. هَذَا يُعَظِّمُ اللهَ فِي قُلُوبِنَا وَيَجْعَلُنَا نَعْبُدُهُ الْعِبَادَةَ الصَّحِيحَةَ.

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ الدُّرُوسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَنْ كَيْفِيَّةِ الْعَيْشِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ تَزِيدُ حُبَّنَا لِلَّهِ وَتَعْظِيمَنَا لَهُ وَثِقَتَنَا بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **حَسَّانُ**: الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عِنْدَمَا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَرَانَا وَيَسْمَعُنَا، نَحْرِصُ عَلَىٰ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَنَتَجَنَّبُ الْخَطَأَ.
- **رَزَانُ**: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: نَدْعُو اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ لِتَكُونَ دَعَوَاتُنَا أَقْرَبَ لِلْإِجَابَةِ.
- **رَيَّانُ**: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: نَتَعَلَّمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ فِيهِ حِكْمَةٌ، حَتَّىٰ لَوْ لَمْ نَفْهَمْهَا، فَنَرْضَىٰ بِقَضَائِهِ.

- **الْأَبُ**: الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: فَهْمُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ يَجْعَلُنَا نَتَخَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، مِثْلَ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ، لِأَنَّ اللهَ رَحِيمٌ وَعَفُوٌّ.

***

قِصَّةٌ: النَّافِعُ وَالضَّارُّ.. كُلُّ شَيْءٍ بِيَدِ اللهِ

الْأَبُ: أَحِبَّائِي الْأَخْيَارُ، الْيَوْمَ سَنَتَوَقَّفُ وَقْفَةَ تَأَمُّلٍ مَعَ اسْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَهُمَا اسْمَانِ لَهُمَا فَوَائِدُ عَقَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي قُلُوبِنَا، وَهُمَا: النَّافِعُ وَالضَّارُّ.

حَسَّانُ: وَهَلْ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ لَهُ مَعْنًىٰ خَاصٌّ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ يَحْمِلُ مَعْنًىٰ عَظِيمًا وَصِفَةً كَامِلَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ، نَتَعَلَّمُ مِنْهَا كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا وَنَعْبُدُهُ حَقَّ الْعِبَادَةِ. هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ، بَلْ هِيَ مَفَاتِيحُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

رَزَانُ: وَمَاذَا يَعْنِي اسْمُ النَّافِعِ يَا أَبِي؟ وَهَلْ اللهُ يَنْفَعُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ؟

الْأَبُ: اسْمُ النَّافِعِ يَا رَزَانُ يَعْنِي أَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَمْلِكُ النَّفْعَ الْمُطْلَقَ، وَهُوَ الَّذِي يُوصِلُ النَّفْعَ وَالْخَيْرَ إِلَىٰ خَلْقِهِ مَتَىٰ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ. كُلُّ خَيْرٍ يَأْتِينَا فِي حَيَاتِنَا هُوَ مِنَ اللهِ. **فَمَثَلًا**:

* عِنْدَمَا يَرْزُقُنَا اللهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالصِّحَّةِ، فَهُوَ النَّافِعُ.
* عِنْدَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ لِتَنْمُوَ الزُّرُوعُ وَتَأْكُلَ الْحَيَوَانَاتُ وَنَسْقِيَ أَنْفُسَنَا، فَهُوَ النَّافِعُ.
* عِنْدَمَا يُوَفِّقُنَا اللهُ فِي دِرَاسَتِنَا أَوْ عَمَلِنَا، فَهُوَ النَّافِعُ.
* عِنْدَمَا يَشْفِيكَ اللهُ مِنْ مَرَضٍ، فَهُوَ النَّافِعُ.

هَذَا يَزْرَعُ فِي قُلُوبِنَا حَقِيقَةً عَقَدِيَّةً عَظِيمَةً، وَهِيَ أَنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ. فَلَا نَطْلُبُ النَّفْعَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا نَخَافُ الضَّرَّ إِلَّا مِنْهُ. فَإِذَا أَصَابَكَ خَيْرٌ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ. وَإِذَا أَصَابَكَ شَرٌّ، فَاعْلَمْ أَنَّ رَفْعَهُ أَيْضًا بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ.

رَيَّانُ: وَمَاذَا عَنِ اسْمِ الضَّارِّ؟ هَلْ يَعْنِي أَنَّ اللهَ يَضُرُّنَا؟

الْأَبُ: اسْمُ الضَّارِّ يَا رَيَّانُ يَعْنِي أَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَمْلِكُ الضَّرَّ الْمُطْلَقَ، وَهُوَ الَّذِي يُوصِلُ الضَّرَّ وَالشَّرَّ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ. لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَضُرَّنَا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ.

- فَإِذَا أَصَابَكَ مَرَضٌ أَوْ خَسَارَةٌ أَوْ أَيُّ مَكْرُوهٍ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللهِ.
- وَإِذَا حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يُؤْذِيَكَ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَضُرَّكَ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللهُ بِذَلِكَ.

هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَضُرَّ عِبَادَهُ، حَاشَا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَلَكِنْ قَدْ يَقَعُ الضَّرُّ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ، كَاخْتِبَارٍ لِصَبْرِهِ، أَوْ تَكْفِيرًا لِذُنُوبِهِ، أَوْ لِيُرْجِعَهُ إِلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ. الْمُهِمُّ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنَا أَوْ يَنْفَعَنَا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». (١)

هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْوَحِيدُ فِي هَذَا الْكَوْنِ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَالنَّفْعُ وَالضَّرُّ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ مَعْرِفَةِ اسْمَيِ اللهِ "النَّافِعِ" وَ"الضَّارِّ"؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: النَّافِعُ وَالضَّارُّ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، فَلَا نَطْلُبُ النَّفْعَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا نَخَافُ الضَّرَّ إِلَّا مِنْهُ.

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: كُلُّ خَيْرٍ يَأْتِينَا فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ ضَرٍّ يُصِيبُنَا فَهُوَ بِتَقْدِيرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ.
- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: مَعْرِفَةُ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ تَمْنَحُنَا رَاحَةً نَفْسِيَّةً عَظِيمَةً؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَنَا كُلَّهُ بِيَدِ اللهِ، فَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تَجْعَلُنَا نَلْجَأُ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ فِي كُلِّ أُمُورِنَا، فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَنَثِقُ بِقُدْرَتِهِ الْمُطْلَقَةِ.
- **الْأَبُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: التَّأَمُّلُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ يَزِيدُ مِنْ مَعْرِفَتِنَا بِاللهِ، وَيُقَوِّي إِيمَانَنَا، وَيَجْعَلُنَا نُحِبُّهُ وَنَخَافُهُ وَنَعْبُدُهُ بِصِدْقٍ.

***

قِصَّةُ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ.. اللَّهُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَنَامُ

أَحِبَّائِي الْأَبْطَالُ، بَعْدَ أَنْ تَأَمَّلْنَا فِي اسْمَيْ اللهِ "النَّافِعِ" وَ"الضَّارِّ"، الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنِ اسْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَهُمَا: الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ. هَذَانِ الِاسْمَانِ يَأْتِيَانِ مَعًا فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي الْحَيُّ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ جَيِّدٌ يَا حَسَّانُ! عِنْدَمَا نَقُولُ اللهُ الْحَيُّ، لَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ حَيٌّ مِثْلَنَا نُولَدُ وَنَكْبَرُ ثُمَّ نَمُوتُ. حَاشَا لِلَّهِ! الْحَيُّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ يَعْنِي الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ، الْأَبَدِيَّةُ، الْأَزَلِيَّةُ، الَّتِي لَا بِدَايَةَ لَهَا وَلَا نِهَايَةَ. حَيَاتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَتْ طَارِئَةً وَلَا تَنْقُصُ أَبَدًا.

- فَاللهُ هُوَ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا.
- هُوَ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، وَلَا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ.
- حَيَاتُهُ كَامِلَةٌ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ. لِأَنَّهُ حَيٌّ، فَهُوَ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ.

رَزَانُ: وَمَاذَا عَنِ اسْمِ الْقَيُّومِ؟

الْأَبُ: اسْمُ الْقَيُّومِ يَا رَزَانُ مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِاسْمِ الْحَيِّ. **الْقَيُّومُ يَعْنِي:**

- الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ: أَيْ أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ أَوْ رَاحَةٍ. قَائِمٌ بِذَاتِهِ، لَا يَسْتَنِدُ عَلَىٰ أَحَدٍ.
- الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ: أَيْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُقِيمُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَيُدَبِّرُهُ وَيَرْعَاهُ. كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ قَائِمَةٌ بِوُجُودِهِ وَتَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ تَتَحَرَّكُ بِنِظَامِهِ.
- الْبَشَرُ وَالْحَيَوَانَاتُ وَالنَّبَاتَاتُ كُلُّهَا تَعِيشُ وَتَسْتَمِرُّ بِقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ.
- حَيَاتُنَا الْيَوْمِيَّةُ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَتَنَفُّسٍ وَنَوْمٍ، كُلُّهَا قَائِمَةٌ بِفَضْلِ اللهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

تَصَوَّرُوا يَا أَطْفَالِي، لَوْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ حَيًّا قَيُّومًا، فَكَيْفَ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ سَتَسْتَمِرُّ؟ وَكَيْفَ كُنَّا سَنُرْزَقُ وَنَسِيرُ فِي حَيَاتِنَا؟ لَوْ كَانَ يَنَامُ أَوْ يَتْعَبُ أَوْ يَمُوتُ، لَتَوَقَّفَ كُلُّ شَيْءٍ! وَلَكِنْ لِأَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ يَسِيرُ بِنِظَامٍ وَدِقَّةٍ وَعَظَمَةٍ لَا يَتَخَيَّلُهَا عَقْلٌ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، تَبْدَأُ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

"لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" هَذِهِ الْجُمْلَةُ تُفَسِّرُ لَنَا جُزْءًا مِنْ مَعْنَىٰ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، فَهُوَ لَا يُصِيبُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ النُّعَاسُ الْخَفِيفُ (السِّنَةُ)، فَكَيْفَ بِالنَّوْمِ الْعَمِيقِ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

تَسْنِيمُ: سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا يَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِالْأَمَانِ الشَّدِيدِ!

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا تَسْنِيمُ! هَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الْعَقَدِيَّةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ.

عِنْدَمَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ:

- نَشْعُرُ بِالْأَمَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَ الْكَوْنِ كُلَّهُ بِيَدِ إِلَهٍ حَيٍّ، لَا يَغْفَلُ وَلَا يَنَامُ، يُدَبِّرُ كُلَّ شَيْءٍ.

- نَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَاجَاتِنَا، لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِجَابَتِنَا وَقَضَاءِ حَوَائِجِنَا.
- نَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِنَا، لِأَنَّهُ الْقَائِمُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ.
- نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ، وَالَّتِي تَسْتَمِرُّ بِفَضْلِ قَيُّومِيَّتِهِ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ مَعْرِفَةِ اسْمَيِ اللهِ "الْحَيِّ" وَ"الْقَيُّومِ"؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْحَيُّ هُوَ اللهُ الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الْأَبَدِيَّةُ، لَا يَمُوتُ وَلَا تَفْنَىٰ حَيَاتُهُ أَبَدًا.
- حَسَّانُ: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْقَيُّومُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَهُوَ الَّذِي يُقِيمُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ وَيُدَبِّرُهُ وَيَرْعَاهُ.
- رَزَانُ: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: آيَةُ الْكُرْسِيِّ تَبْدَأُ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ اللهَ لَا يَأْخُذُهُ نَوْمٌ وَلَا نُعَاسٌ.
- رَيَّانُ: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْإِيمَانُ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ يَزْرَعُ فِي قُلُوبِنَا الْأَمَانَ وَالِاطْمِئْنَانَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ.
- تَسْنِيمُ: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ تَزِيدُ مِنْ إِيمَانِنَا وَتُعَمِّقُ فَهْمَنَا لِعَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ.

***

قِصَّةٌ: أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.. بَيْتُنَا الْمَتِينُ

أَبْنَائِيَ الشُّجْعَانُ، دِينُنَا الْإِسْلَامُ لَيْسَ فَقَطْ إِيمَانًا بِالْقَلْبِ، بَلْ هُوَ أَيْضًا أَعْمَالٌ نَفْعَلُهَا لِتُظْهِرَ إِيمَانَنَا وَتُقَوِّيَهُ. هَذِهِ الْأَعْمَالُ تُشْبِهُ الْأَعْمِدَةَ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بَيْتُنَا الْكَبِيرُ، وَنُسَمِّيهَا أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ.

حَسَّانُ: وَمَا هِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ، وَهِيَ سَهْلَةٌ جِدًّا، وَنَفْعَلُهَا كُلَّ يَوْمٍ أَوْ عَلَىٰ فَتَرَاتٍ:

- الشَّهَادَتَانِ.
- إِقَامُ الصَّلَاةِ.
- إِيتَاءُ الزَّكَاةِ.
- صَوْمُ رَمَضَانَ.
- حَجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

رَزَانُ: مَا هِيَ الشَّهَادَتَانِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الشَّهَادَتَانِ هُمَا الْمِفْتَاحُ لِدُخُولِ الْإِسْلَامِ. نَقُولُ فِيهِمَا: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ نَقُولُ: "وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ"، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَنَا لِيُعَلِّمَنَا دِينَنَا.

رَيَّانُ: وَمَاذَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ؟

الْأَبُ: بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، نَأْتِي إِلَى الرُّكْنِ الثَّانِي: إِقَامُ الصَّلَاةِ. الصَّلَاةُ هِيَ صِلَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ. نُصَلِّي خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَفِي كُلِّ صَلَاةٍ نَتَوَجَّهُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ،

وَنَذْكُرُ اللهَ، وَنَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنَسْجُدُ لَهُ. الصَّلَاةُ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَتُعَلِّمُنَا الْإِيمَانَ وَالْخُشُوعَ.

تَسْنِيمُ: وَمَا هِيَ الزَّكَاةُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: الزَّكَاةُ يَا تَسْنِيمُ هِيَ مَبْلَغٌ مُحَدَّدٌ مِنَ الْمَالِ يُدْفَعُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ إِذَا بَلَغَ مَالُهُمْ نِصَابًا مُعَيَّنًا. الزَّكَاةُ تُطَهِّرُ الْمَالَ، وَتُبَارِكُ فِيهِ، وَتَنْشُرُ الْحُبَّ وَالتَّعَاوُنَ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَتُطَهِّرُ نُفُوسَ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْبُخْلِ، وَنُفُوسَ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْحِقْدِ.

رَزَانُ: ثُمَّ يَأْتِي صَوْمُ رَمَضَانَ، يَا أَبِي؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! الرُّكْنُ الرَّابِعُ هُوَ صَوْمُ رَمَضَانَ. نَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ كُلَّ سَنَةٍ، فَنَمْتَنِعُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَكُلِّ مَا يُفَطِّرُ مِنَ الْفَجْرِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ. الصَّوْمُ يُعَلِّمُنَا الصَّبْرَ، وَيَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِمَنْ هُمْ جَوْعَىٰ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَيُذَكِّرُنَا بِطَاعَةِ اللهِ.

رَيَّانُ: وَأَخِيرًا الْحَجُّ! هَلْ هُوَ لِكُلِّ النَّاسِ؟

الْأَبُ: الرُّكْنُ الْخَامِسُ وَالْأَخِيرُ هُوَ حَجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. الْحَجُّ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ ذَلِكَ جَسَدِيًّا وَمَادِّيًّا. فِي الْحَجِّ، يَجْتَمِعُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ الْعَالَمِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ لِيَعْبُدُوا اللهَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلِيُظْهِرُوا وَحْدَتَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي نَقُومُ بِهَا لِتُظْهِرَ إِيمَانَنَا وَتُقَوِّيَهُ.
- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الشَّهَادَتَانِ هُمَا مِفْتَاحُ الْإِسْلَامِ، وَهُمَا إِقْرَارٌ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَمَلٌ بِمُقْتَضَاهُمَا.

- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الصَّلَاةُ تَرْبُطُنَا بِاللهِ وَتُعَلِّمُنَا النِّظَامَ وَالْخُشُوعَ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الزَّكَاةُ تُطَهِّرُ الْمَالَ وَتُسَاعِدُ الْفُقَرَاءَ، وَالصَّوْمُ يُعَلِّمُنَا الصَّبْرَ.
- **تَسْنِيمُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْحَجُّ يُظْهِرُ وَحْدَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعُهُمْ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ.

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ أَكْمَلْنَا الْحَدِيثَ عَنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ، الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا دِينُنَا الْعَظِيمُ.

***

قِصَّةٌ: الْإِيمَانُ.. شَجَرَةٌ تَنْمُو وَتُثْمِرُ

مَرْحَبًا بِكُمْ أَوْلَادِي الْأَبْطَالُ، الْيَوْمَ سَنَتَكَلَّمُ عَنْ شَيْءٍ مُهِمٍّ جِدًّا يَخُصُّنَا نَحْنُ، وَهُوَ الْإِيمَانُ. هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ شَيْئًا ثَابِتًا لَا يَتَغَيَّرُ؟ بَلْ هُوَ مِثْلُ الشَّجَرَةِ، يَنْمُو وَيَزِيدُ، وَقَدْ يَضْعُفُ وَيَنْقُصُ!

حَسَّانُ: وَهَلِ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ يَا أَبِي؟ ظَنَنْتُ أَنَّهُ إِمَّا أَنْ نُؤْمِنَ أَوْ لَا نُؤْمِنَ!

الْأَبُ: سُؤَالٌ رَائِعٌ يَا حَسَّانُ! هَذَا مَا يُمَيِّزُ إِيمَانَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. نَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالتَّقْصِيرِ.

رَزَانُ: وَكَيْفَ يَزِيدُ الْإِيمَانُ؟ وَمَا الَّذِي يَجْعَلُهُ يَنْقُصُ؟

الْأَبُ: لِنَتَخَيَّلِ الْإِيمَانَ كَشَجَرَةٍ جَمِيلَةٍ فِي قُلُوبِنَا. هَذِهِ الشَّجَرَةُ تَحْتَاجُ إِلَىٰ رِعَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ لِتَنْمُوَ وَتَكْبُرَ وَتُعْطِيَ ثِمَارًا طَيِّبَةً.

كَيْفَ يَزِيدُ الْإِيمَانُ؟ (سَقْيُ شَجَرَةِ الْإِيمَانِ):

- التَّعَلُّمُ وَالتَّفَكُّرُ فِي آيَاتِ اللهِ: عِنْدَمَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنَتَدَبَّرُ مَعَانِيَهُ، وَعِنْدَمَا نَتَفَكَّرُ فِي عَظَمَةِ خَلْقِ اللهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَزْدَادُ يَقِينُنَا وَعِلْمُنَا بِاللهِ، وَهَذَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنفال:٢].
- عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمُونَ عَظَمَتَهَا، تَشْعُرُونَ بِخُشُوعٍ أَكْبَرَ، وَهَذَا زِيَادَةٌ فِي الْإِيمَانِ.

- فِعْلُ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الصَّلَاةُ، الصِّيَامُ، قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، الصَّدَقَةُ، بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، مُسَاعَدَةُ الْمُحْتَاجِينَ، كُلُّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هِيَ كَالْمَطَرِ الَّذِي يَسْقِي شَجَرَةَ الْإِيمَانِ وَيَجْعَلُهَا أَقْوَىٰ وَأَكْثَرَ ثَمَرًا.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾ [سورة مريم:٧٦]. وَالْهِدَايَةُ هُنَا تَشْمَلُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ.
- مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ وَطَلَبُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ: عِنْدَمَا نَجْلِسُ مَعَ الصَّالِحِينَ، وَنَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ، وَنَسْمَعُ الدُّرُوسَ الدِّينِيَّةَ، فَإِنَّ قُلُوبَنَا تَرِقُّ، وَتَزْدَادُ رَغْبَتُنَا فِي الْخَيْرِ، وَهَذَا يُقَوِّي الْإِيمَانَ.

تَسْنِيمُ: وَكَيْفَ يَنْقُصُ الْإِيمَانُ؟ وَمَا يُضْعِفُ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ يَا بُنَيَّتِي. فَكُلُّ ذَنْبٍ نَفْعَلُهُ هُوَ بِمَثَابَةِ قِطْعَةٍ مِنَ النَّارِ تُحْرِقُ وَرَقَةً مِنْ أَوْرَاقِ شَجَرَةِ الْإِيمَانِ، أَوْ شَوْكَةٍ تَجْرَحُهَا. كُلَّمَا زَادَتِ الذُّنُوبُ، ضَعُفَ الْإِيمَانُ وَقَدْ يَخْتَفِي تَمَامًا إِذَا لَمْ نَتُبْ.

- النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ». (١)
- هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَعْنِي أَنَّ الزَّانِيَ أَوِ السَّارِقَ يَكْفُرُ كُفْرًا أَكْبَرَ، بَلْ يَعْنِي أَنَّ إِيمَانَهُ يَضْعُفُ جِدًّا حِينَ يَرْتَكِبُ هَذِهِ الْكَبِيرَةَ، كَأَنَّ نُورَ الْإِيمَانِ يَنْطَفِئُ فِي قَلْبِهِ وَقْتَ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- وَكَذَا الْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَالتَّقْصِيرُ فِي الطَّاعَاتِ: عِنْدَمَا نَنْشَغِلُ بِالدُّنْيَا كَثِيرًا وَنَنْسَىٰ اللهَ، وَنُقَصِّرُ فِي صَلَوَاتِنَا وَأَذْكَارِنَا، فَإِنَّ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ لَا تَجِدُ مَنْ يَسْقِيهَا، فَتَذْبُلُ وَتَضْعُفُ.
- وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ السُّوءِ وَالْغَفْلَةِ: فَكَمَا أَنَّ مُجَالَسَةَ الصَّالِحِينَ تُقَوِّي الْإِيمَانَ، فَإِنَّ مُجَالَسَةَ مَنْ يَذْكُرُونَ بِالْمَعْصِيَةِ وَيُشَجِّعُونَ عَلَيْهَا تُضْعِفُ الْإِيمَانَ.

رَيَّانُ: مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ دَائِمًا عَلَىٰ أَنْ نَسْقِيَ شَجَرَةَ إِيمَانِنَا يَا أَبِي!

الْأَبُ: رَائِعٌ يَا رَيَّانُ! هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَّا. أَنْ نَجْتَهِدَ دَائِمًا فِي زِيَادَةِ إِيمَانِنَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالطَّاعَاتِ، وَأَنْ نَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ مَا يُضْعِفُهُ مِنْ مَعَاصٍ وَغَفْلَةٍ. فَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ هُوَ الَّذِي يَحْرِصُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ، وَيَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ النُّقْصَانِ، وَيَسْعَىٰ دَائِمًا لِتَقْوِيَتِهِ.

وَالْآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا عَنِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي وَالتَّقْصِيرِ.
- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: التَّعَلُّمُ وَالتَّفَكُّرُ فِي آيَاتِ اللهِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، يَزِيدَانِ الْإِيمَانَ.
- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: فِعْلُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ مِثْلَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ يُقَوِّي الْإِيمَانَ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: ارْتِكَابُ الذُّنُوبِ وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ يُضْعِفَانِ الْإِيمَانَ وَقَدْ يُنْقِصَانِهِ كَثِيرًا.

- تَسْنِيمُ: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ هُوَ مَنْ يَحْرِصُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ وَيَجْتَهِدُ فِي زِيَادَتِهِ وَيَبْتَعِدُ عَمَّا يُنْقِصُهُ.

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيمَانَنَا بِطَاعَتِكَ، وَاصْرِفْ عَنَّا الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

***

قِصَّةٌ: الْإِحْسَانُ.. أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

أَحْبَائِيَ الْأَبْطَالُ، لَقَدْ تَعَلَّمْنَا عَنِ الْإِيمَانِ (مَا فِي الْقَلْبِ)، وَعَنِ الْإِسْلَامِ (الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ). وَالْآنَ، سَنَتَحَدَّثُ عَنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ وَأَجْمَلِهَا، وَهِيَ الْإِحْسَانُ.

حَسَّانُ: وَمَا هُوَ الْإِحْسَانُ يَا أَبِي؟ هَلْ هُوَ أَنْ نَفْعَلَ الْخَيْرَ فَقَطْ؟

الْأَبُ: الْإِحْسَانُ يَا حَسَّانُ أَعْمَقُ مِنْ ذَلِكَ. الْإِحْسَانُ هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَفْعَلَ الْخَيْرَ بِأَفْضَلِ صُورَةٍ، كَأَنَّكَ تَرَاهُ. قَالَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

رَزَانُ: يَعْنِي أَنْ نُصَلِّيَ بِخُشُوعٍ كَأَنَّ اللهَ أَمَامَنَا؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! هَذَا مِثَالٌ رَائِعٌ. عِنْدَمَا نُصَلِّي بِإِحْسَانٍ، نُحَاوِلُ أَنْ نُفَكِّرَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ نَقُولُهَا، وَكُلِّ حَرَكَةٍ نَفْعَلُهَا. نُحَاوِلُ أَنْ نَشْعُرَ بِقُرْبِ اللهِ مِنَّا، وَأَنَّهُ يَرَانَا وَيَسْمَعُنَا. هَذَا يَجْعَلُ صَلَاتَنَا أَجْمَلَ وَأَكْثَرَ قَبُولًا.

رَيَّانُ: وَهَلِ الْإِحْسَانُ فَقَطْ فِي الْعِبَادَةِ؟

الْأَبُ: لَا يَا رَيَّانُ! الْإِحْسَانُ يَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِنَا:

- **الْإِحْسَانُ فِي الْعِبَادَةِ**: مِثْلَ الصَّلَاةِ بِخُشُوعٍ، وَالصِّيَامِ بِإِخْلَاصٍ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ.
- **الْإِحْسَانُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ**: بِطَاعَتِهِمَا، وَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ لَهُمَا، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا فِي كُلِّ شَيْءٍ.
- **الْإِحْسَانُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ**: بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَالْمُسَاعَدَةِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْمُسِيءِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ.

• **الْإِحْسَانُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ**: بِالرَّحْمَةِ بِهَا، وَعَدَمِ إِيذَائِهَا.

حَسَّانُ: يَعْنِي أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَفْضَلِ طَرِيقَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ يَرَانَا؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ! هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ. عِنْدَمَا تَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ لَعِبًا أَوْ دِرَاسَةً، تَذَكَّرْ أَنَّ اللهَ يَرَاكَ. هَذَا يَجْعَلُكَ تَبْذُلُ قُصَارَىٰ جُهْدِكَ، وَتَفْعَلُ الْأَمْرَ بِإِتْقَانٍ وَإِخْلَاصٍ.

رَزَانُ: وَمَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْإِحْسَانِ؟

الْأَبُ: فَوَائِدُ الْإِحْسَانِ كَثِيرَةٌ جِدًّا يَا بُنَيَّ:

• **أَوَّلًا**: يَزِيدُ قُرْبَنَا مِنَ اللهِ وَحُبَّنَا لَهُ، فَنَشْعُرُ بِأَنَّهُ مَعَنَا دَائِمًا بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٢١٨-٢١٩].

• **ثَانِيًا**: يَجْعَلُ أَعْمَالَنَا أَكْثَرَ قَبُولًا عِنْدَ اللهِ، لِأَنَّهَا فُعِلَتْ بِإِخْلَاصٍ وَإِتْقَانٍ.

• **ثَالِثًا**: يُحَسِّنُ أَخْلَاقَنَا وَتَعَامُلَنَا مَعَ الْآخَرِينَ، فَنَصِيرُ أَكْثَرَ رَحْمَةً وَعَطْفًا وَصَبْرًا.

• **رَابِعًا**: يُعْطِينَا رَاحَةً نَفْسِيَّةً وَطُمَأْنِينَةً، فَنَعْلَمُ أَنَّنَا نَفْعَلُ مَا يُرْضِي اللهَ.

• **خَامِسًا**: الْإِحْسَانُ هُوَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٠].

• وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ الْإِحْسَانِ؟

• **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْإِحْسَانُ هُوَ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّنَا نَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَانَا.

• **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْإِحْسَانُ لَيْسَ فَقَطْ فِي الْعِبَادَةِ، بَلْ فِي كُلِّ أَعْمَالِنَا وَتَعَامُلَاتِنَا.

- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْإِحْسَانُ يَجْعَلُ أَعْمَالَنَا أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ قَبُولًا عِنْدَ اللهِ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: مَنْ يَتَّصِفُ بِالْإِحْسَانِ يَكُونُ قَرِيبًا مِنَ اللهِ وَيَنَالُ رِضَاهُ.
- **الْأَبُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْإِحْسَانُ يُعْطِينَا رَاحَةَ الْقَلْبِ وَيُحَسِّنُ أَخْلَاقَنَا.

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ أَكْمَلْنَا الْحَدِيثَ عَنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ الثَّلَاثِ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ. هَذِهِ هِيَ أُسُسُ دِينِنَا الْحَنِيفِ.

***

قِصَّةٌ: أَيْنَ اللهُ؟.. قِصَّةُ الْجَارِيَةِ وَإِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ

أَحِبَّائِيَ الشُّجْعَانَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ، الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ صِفَةُ الْعُلُوِّ. وَمَعْنَىٰ الْعُلُوِّ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَالٍ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

حَسَّانُ: وَهَلِ اللهُ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ يَا حَسَّانُ! اللهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ كَمِثْلِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ مَكَانٍ. هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَوْجُودٌ قَبْلَ الْأَمَاكِنِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَمَاكِنَ كُلَّهَا. لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ عَالٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَخْبَرَنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَزَانُ: وَكَيْفَ نَعْرِفُ أَنَّ اللهَ عَالٍ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ يَا أَبِي؟ هَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ، الْأَدِلَّةُ كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. فَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ:

- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه:٥]. وَالِاسْتِوَاءُ هُنَا يَعْنِي الْعُلُوَّ وَالِارْتِفَاعَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.
- وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [سورة الأعلى:١]. وَ"الْأَعْلَىٰ" تَعْنِي الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ.
- وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام:١٨]. فَكَلِمَةُ "فَوْقَ" هُنَا تَدُلُّ عَلَىٰ عُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

• وَأَيْضًا يَقُولُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر: ١٠]. فَصُعُودُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ، وَإِلَّا فَإِلَىٰ أَيْنَ سَتَصْعَدُ؟

وَلِكَيْ تَتَّضِحَ لَكُمْ هَذِهِ الصِّفَةُ الْعَظِيمَةُ، دَعُونِي أَقُصَّ عَلَيْكُمْ قِصَّةً رَائِعَةً حَدَثَتْ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُسَمَّىٰ قِصَّةَ الْجَارِيَةِ:

قِصَّةُ الْجَارِيَةِ وَأَيْنَ اللهُ؟

كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَدَيْهِ جَارِيَةٌ (خَادِمَةٌ) تَرْعَىٰ لَهُ الْغَنَمَ فِي الصَّحْرَاءِ. ذَاتَ يَوْمٍ، ضَاعَتْ شَاةٌ مِنْ أَغْنَامِهِ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، وَضَرَبَ الْجَارِيَةَ ضَرْبَةً خَفِيفَةً. بَعْدَ أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، نَدِمَ أَشَدَّ النَّدَمِ، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا فَعَلَ، وَقَالَ: "أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟" (أَيْ هَلْ أَجْعَلُهَا حُرَّةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ؟).

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ائْتِنِي بِهَا».

فَأَحْضَرَ مُعَاوِيَةُ الْجَارِيَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَسَأَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُؤَالًا مُهِمًّا جِدًّا: «أَيْنَ اللهُ؟»

فَأَشَارَتِ الْجَارِيَةُ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

ثُمَّ سَأَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُؤَالًا آخَرَ: «مَنْ أَنَا؟»

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: "أَنْتَ رَسُولُ اللهِ".

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاوِيَةَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». (١)

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

رَيَّانُ: سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ كَانَتْ إِجَابَتُهَا هَذِهِ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهَا مُؤْمِنَةٌ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! هَذِهِ الْقِصَّةُ عَظِيمَةٌ وَتُعَلِّمُنَا الْكَثِيرَ. إِجَابَةُ الْجَارِيَةِ "أَيْنَ اللهُ؟" بِأَنْ أَشَارَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، تَدُلُّ عَلَىٰ فِطْرَتِهَا السَّلِيمَةِ الَّتِي تُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ عَالٍ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَنَا فِي الْأَرْضِ بِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ عَالٍ فَوْقَ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَيُرَاقِبُ كُلَّ شَيْءٍ. وَهَذَا مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الْمُعْتَقَدَ الصَّحِيحَ، لَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ "أَيْنَ اللهُ؟"؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَالٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَمُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.
- حَسَّانُ: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ يُثْبِتَانِ صِفَةَ الْعُلُوِّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ وَوَاضِحَةٍ.
- رَزَانُ: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: فِطْرَةُ الْإِنْسَانِ السَّلِيمَةُ تَشْهَدُ بِأَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ، كَمَا فَعَلَتِ الْجَارِيَةُ.
- رَيَّانُ: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ مَعَنَا بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، بَيْنَمَا ذَاتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَالٍ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.
- تَسْنِيمُ: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: إِثْبَاتُ صِفَاتِ اللهِ كَمَا جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، دُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ، هُوَ مِنْ صَمِيمِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

***

قِصَّةٌ: الْقُرْآنُ.. كَلَامُ اللَّهِ الْخَالِدُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

أَحِبَّائِيَ الْأَبْطَالُ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ، الْيَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرٍ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ فِي عَقِيدَتِنَا، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أَيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. سَنَتَعَلَّمُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مَخْلُوقًا، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللهِ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ.

حَسَّانُ: وَهَلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ يَا أَبِي؟ مِثْلَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَصْنَعُهَا؟

الْأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ جِدًّا يَا حَسَّانُ! لَا، الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَيْسَ مَخْلُوقًا. هَذِهِ عَقِيدَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَقِيدَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

رَزَانُ: وَمَا الْفَرْقُ يَا أَبِي؟ وَمَا مَعْنَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

الْأَبُ: الْفَرْقُ كَبِيرٌ جِدًّا يَا رَزَانُ. كُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ مَخْلُوقٌ، خَلَقَهُ اللهُ مِنَ الْعَدَمِ. أَمَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَهُوَ الْخَالِقُ. فَلَوْ قُلْنَا إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ، لَقُلْنَا إِنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، وَهَذَا مُحَالٌ! لِأَنَّ صِفَاتِ الْخَالِقِ لَيْسَتْ كَمِثْلِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِصِفَاتِهِ كُلِّهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَكَلَامُهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.

دَعُونِي أُقَدِّمُ لَكُمْ بَعْضَ الْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللهِ الْحَقِيقِيُّ:

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ نَفْسِهِ:

* ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة التوبة:٦].

هُنَا، اللهُ تَعَالَىٰ وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ "كَلَامُ اللهِ" بِشَكْلٍ صَرِيحٍ وَوَاضِحٍ.

* ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة آل عمران:١٠٨].

وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتْلُو عَلَىٰ النَّاسِ آيَاتِ اللهِ، وَهِيَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ.

* الْقُرْآنُ نَزَلَ مِنَ اللهِ:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ:

* ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [سورة الواقعة:٨٠].

وَمَعْنَىٰ "تَنْزِيلٌ" أَيْ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ أَنْزَلَهُ. كَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ، وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا مُنْفَصِلًا عَنْهُ.

* اللهُ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً:

الْمُؤْمِنُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ "تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ" وَ"سَمَاعِ الْقُرْآنِ". هَذَا يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ كَلَامًا حَقِيقِيًّا يُتْلَىٰ وَيُسْمَعُ. هَذَا الْكَلَامُ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ اللهُ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

* الْقُرْآنُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَصِفَاتُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ:

فَكَمَا أَنَّ اللهَ حَيٌّ، وَسَمِيعٌ، وَبَصِيرٌ، وَقَدِيرٌ، فَكَذَلِكَ هُوَ مُتَكَلِّمٌ. وَالْكَلَامُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ.

رَيَّانُ: مَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا رَيَّانُ! صِفَةُ الْكَلَامِ لِلَّهِ أَخْبَرَنَا بِهَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ. وَكَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِهَا مَتَىٰ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ. وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ صَدَرَ عَنْهُ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ كَلَامُ اللهِ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ أَنْزَلَهُ.
- **حَسَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: هَذِهِ الْعَقِيدَةُ تُثْبِتُ كَمَالَ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهَا صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَلَيْسَتْ شَيْئًا حَادِثًا أَوْ مَخْلُوقًا.
- **رَزَانُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: فَهْمُ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ يَزِيدُ مِنْ تَعْظِيمِنَا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحِرْصِنَا عَلَىٰ تِلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، لِأَنَّهُ كَلَامُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ.
- **رَيَّانُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْقُرْآنُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، لِأَنَّهُ تَحَدَّىٰ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ كَلَامَ بَشَرٍ أَوْ مَخْلُوقٍ.
- **تَسْنِيمُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ هُوَ مِنْ أُصُولِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لِأَنَّهَا عَقِيدَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَهَذَا يُمَيِّزُهَا عَنِ الْفِرَقِ الْأُخْرَىٰ.

***

قِصّة : التّوَسُّلُ.. كَيْفَ نَتَقرّبُ إلَى اللهِ؟

أَحِبَّائِي الكِرَامَ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، اليَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْضُوعٍ مُهِمٍّ جِدًّا فِي عَلَاقَتِنَا بِاللهِ، وَهُوَ التَّوَسُّلُ. كَلِمَةُ التَّوَسُّلِ تَعْنِي التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالبَحْثَ عَنِ الوَسِيلَةِ الَّتِي تُوَصِّلُنَا إِلَيْهِ وَتُحَقِّقُ لَنَا مَا نَرْجُوهُ مِنْهُ.

حَسَّانُ: وَهَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِأَيِّ شَيْءٍ يَا أَبِي؟

الأَبُ: سُؤَالٌ جَيِّدٌ يَا حَسَّانُ! التَّوَسُّلُ أَنْوَاعٌ، بَعْضُهَا جَائِزٌ وَمَشْرُوعٌ فِي دِينِنَا، وَبَعْضُهَا غَيْرُ جَائِزٍ وَمُحَرَّمٌ، بَلْ قَدْ يَصِلُ بَعْضُهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الأَعْظَمُ. دَعُونَا نَفْهَمِ الفَرْقَ:

أَوَّلًا: التَّوَسُّلُ المَشْرُوعُ (الجَائِزُ وَالمَحْبُوبُ لِلهِ):

هَذِهِ هِيَ الطُّرُقُ الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ وَنَدْعُوَهُ:

*** التَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلْيَا:**

أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ التَّوَسُّلِ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي تُنَاسِبُ دُعَاءَكَ.

مِثَالٌ: عِنْدَمَا تُرِيدُ الرِّزْقَ، تَقُولُ: "يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي"، أَوْ "يَا وَهَّابُ هَبْ لِي". وَعِنْدَمَا تُرِيدُ الشِّفَاءَ، تَقُولُ: "يَا شَافِي اشْفِنِي".

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

*** التَّوَسُّلُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي قُمْتَ بِهَا:**

أَنْ تَدْعُوَ اللهَ تَعَالَىٰ وَتَذْكُرَ عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لِلهِ فَعَلْتَهُ، وَتَسْأَلَ اللهَ بِهِ.

مِثَالٌ: تَقُولُ: "يَا رَبُّ، بِإِيمَانِي بِكَ وَإِيمَانِي بِنَبِيِّكَ، وَتَوْحِيدِي لَكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي".

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قِصَّةُ أَصْحَابِ الغَارِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ، فَتَوَسَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ فَعَلَهُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُمْ وَفَرَّجَ عَنْهُمْ.

*** التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الحَيِّ الحَاضِرِ:**

أَنْ تَلْتَقِيَ بِرَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ، وَتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ، فَيَدْعُو هُوَ لَكَ.

مِثَالٌ: كَانَ الصَّحَابَةُ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ، فَيَدْعُو لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَسَّلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَالصَّحَابَةُ بِدُعَاءِ العَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَصَابَهُمُ القَحْطُ، فَكَانَ العَبَّاسُ يَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَالنَّاسُ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ دُعَائِهِ. وَلَمْ يَدْعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ لَهُمْ.

رَزَانُ: وَمَاذَا عَنِ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟ هَلْ هَذَا جَائِزٌ؟

الأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ جِدًّا يَا رَزَانُ، وَهُوَ النُّقْطَةُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الخَلْطُ لَدَىٰ بَعْضِ النَّاسِ.

ثَانِيًا: التَّوَسُّلُ المَمْنُوعُ (المُحَرَّمُ وَقَدْ يَصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ):

هَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوَسُّلِ يُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الدِّينُ، وَبَعْضُهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ:

*** التَّوَسُّلُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ (مِثْلَ التَّوَسُّلِ بِجَاهِهِمْ أَوْ مَكَانَتِهِمْ):**

مِثْلَ أَنْ تَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَاهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ" أَوْ "بِجَاهِ الوَلِيِّ فُلَانٍ". هَذَا النَّوْعُ لَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَرِدْ بِهِ دَلِيلٌ صَرِيحٌ وَوَاضِحٌ فِي القُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ.

أَهْلُ العِلْمِ رَأَوْا أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ (شَيْءٌ مُحْدَثٌ فِي الدِّينِ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ)، لِأَنَّهُ لَمْ يُفْعَلْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا الصَّحَابَةِ. وَالعِبَادَةُ مَبْنَاهَا عَلَى الِاتِّبَاعِ لَا الِابْتِدَاعِ.

* **دُعَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْ مَنْ فِي القُبُورِ مُبَاشَرَةً وَطَلَبُ الحَاجَاتِ مِنْهُمْ:**

هَذَا هُوَ النَّوْعُ الَّذِي يُعَدُّ شِرْكًا أَكْبَرَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ. أَنْ تَذْهَبَ إِلَى قَبْرِ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ أَوْ أَيِّ إِنْسَانٍ، وَتَقُولَ لَهُ: "يَا سَيِّدِي فُلَانُ، اشْفِ ابْنِي!" أَوْ "يَا فُلَانُ، ارْزُقْنِي!" أَوْ "يَا فُلَانُ، فَرِّجْ كَرْبِي!".

لِمَاذَا هُوَ شِرْكٌ؟ لِأَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُصْرَفُ إِلَّا لِلهِ وَحْدَهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨].

وَالَّذِينَ فِي القُبُورِ لَا يَسْمَعُونَنَا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْفَعُوا أَنْفُسَهُمْ، فَكَيْفَ يَنْفَعُونَ غَيْرَهُمْ؟

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة فاطر:١٣-١٤].

هَذِهِ الآيَاتُ وَاضِحَةٌ جِدًّا فِي أَنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، وَأَنَّ المَيِّتَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

رَيَّانُ: إِذَنْ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا، أَطْلُبُهُ مِنَ اللهِ مُبَاشَرَةً؟

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! هَذَا هُوَ الأَصْلُ فِي دِينِنَا. نَرْفَعُ أَيْدِينَا إِلَىٰ اللهِ، وَنَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الخَالِصُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ.

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا عَنِ التَّوَسُّلِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: التَّوَسُّلُ هُوَ التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالبَحْثُ عَنِ الوَسِيلَةِ الَّتِي تُوَصِّلُنَا إِلَيْهِ وَتُحَقِّقُ لَنَا مَا نَرْجُوهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **حَسَّانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: التَّوَسُّلُ المَشْرُوعُ يَكُونُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَبِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَبِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الحَيِّ.
- **رَزَانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: دُعَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْ مَنْ فِي القُبُورِ مُبَاشَرَةً وَطَلَبُ الحَاجَاتِ مِنْهُمْ هُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، لِأَنَّهُ صَرْفُ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ.
- **رَيَّانُ**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: التَّوَسُّلُ بِجَاهِ أَوْ حَقِّ الأَمْوَاتِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ هُوَ بِدْعَةٌ، يَجِبُ تَرْكُهُ وَالِالْتِزَامُ بِمَا شَرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **تَسْنِيمُ**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ خَالِصَةٌ لِلهِ وَحْدَهُ، وَيَجِبُ أَنْ نَطْلُبَ حَوَائِجَنَا كُلَّهَا مِنَ اللهِ مُبَاشَرَةً، فَهُوَ السَّمِيعُ المُجِيبُ.

***

قِصّة: النِّفَاقُ.. الوَجْهُ الآخَرُ (التّحْذِيرُ مِنَ النِّفَاق)

مَرْحَبًا بِكُمْ مُجَدَّدًا أَبْنَائِيَ الكِرَامَ. فِي قَصَصِنَا السَّابِقَةِ، تَعَلَّمْنَا عَنْ أَسَاسِيَّاتِ دِينِنَا: الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعَنْ أَهَمِّيَّةِ تَوْحِيدِ اللهِ وَالبُعْدِ عَنِ الشِّرْكِ. اليَوْمَ، سَنَتَحَدَّثُ عَنْ خُلُقٍ سَيِّئٍ جِدًّا حَذَّرَنَا مِنْهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّهُ النِّفَاقُ وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنَ النِّفَاقِ وَمِنَ المُنَافِقِينَ.

حَسَّانُ: وَمَا هُوَ النِّفَاقُ يَا أَبِي؟ هَلْ هُوَ مِثْلُ الكَذِبِ؟

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا حَسَّانُ، الكَذِبُ جُزْءٌ مِنْهُ، وَلَكِنَّ النِّفَاقَ أَخْطَرُ. النِّفَاقُ هُوَ أَنْ تُظْهِرَ شَيْئًا وَتُخْفِيَ شَيْئًا آخَرَ. أَيْ أَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ وَتَفْعَلَ بِجَوَارِحِكَ مَا يُخَالِفُ مَا فِي قَلْبِكَ. **وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ هُنَاكَ نَوْعَيْنِ مِنَ النِّفَاقِ:**

* **النِّفَاقُ الأَكْبَرُ وَيُسَمَّى (النِّفَاقَ الاِعْتِقَادِيَّ)**: وَهُوَ الأَخْطَرُ. أَنْ يُظْهِرَ الإِنْسَانُ الإِسْلَامَ وَهُوَ فِي بَاطِنِهِ كَافِرٌ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ. مِثْلُ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "آمَنَّا"، وَهُمْ يُخْفُونَ الكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ. هَؤُلَاءِ مَصِيرُهُمْ فِي الآخِرَةِ سَيَكُونُ الأَسْوَأَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء:١٤٥].

* **الثَّانِي هُوَ النِّفَاقُ الأَصْغَرُ (النِّفَاقُ العَمَلِيُّ)**: وَهُوَ أَنْ يَقُومَ المُسْلِمُ بِبَعْضِ الأَعْمَالِ الَّتِي تُشْبِهُ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ الخَارِجِيَّةِ، وَهُوَ لَيْسَ كَافِرًا فِي قَلْبِهِ. مِثْلَ الكَذِبِ فِي الحَدِيثِ، وَالإِخْلَافِ بِالْوَعْدِ، وَالغَدْرِ فِي العَهْدِ، وَالفُجُورِ فِي الخُصُومَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

رَزَانُ: هَلْ الرِّيَاءُ يَدْخُلُ فِي النِّفَاقِ؟

الأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! نَعَمْ، الرِّيَاءُ يُعْتَبَرُ نَوْعًا مِنَ النِّفَاقِ الأَصْغَرِ. أَنْ تُظْهِرَ عَمَلًا صَالِحًا لِتُرِيَ النَّاسَ، وَأَنْتَ فِي دَاخِلِكَ لَا تَقْصِدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ. هَذَا يُقَلِّلُ مِنْ أَجْرِ العَمَلِ، وَقَدْ يُذْهِبُهُ تَمَامًا إِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ فَقَطْ لِلنَّاسِ.

رَيَّانُ: وَمَا الفَائِدَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا الأَمْرِ؟

الأَبُ: فَوَائِدُ مَعْرِفَةِ النِّفَاقِ وَالحَذَرِ مِنْهُ كَثِيرَةٌ:

- **أَوَّلًا**: نَحْرِصُ عَلَىٰ إِخْلَاصِ نِيَّتِنَا لِلهِ فِي كُلِّ أَعْمَالِنَا، فَنَفْعَلُ الخَيْرَ لِأَنَّهُ يُرْضِي اللهَ، وَلَيْسَ لِنَنَالَ مَدْحَ النَّاسِ.
- **ثَانِيًا**: نَتَجَنَّبُ الكَذِبَ وَإِخْلَافَ الوَعْدِ وَالغَدْرَ، فَهَذِهِ صِفَاتٌ ذَمِيمَةٌ تُبْعِدُنَا عَنِ اللهِ وَعَنْ حُبِّ النَّاسِ.
- **ثَالِثًا**: نَعْلَمُ خُطُورَةَ النِّفَاقِ الأَكْبَرِ، وَأَنَّهُ يُخْرِجُ مِنَ الإِسْلَامِ وَمَصِيرُ صَاحِبِهِ إِلَىٰ النَّارِ.
- **رَابِعًا**: يُعَلِّمُنَا أَنْ نَكُونَ صَادِقِينَ مَعَ اللهِ وَمَعَ أَنْفُسِنَا وَمَعَ النَّاسِ.
- **خَامِسًا**: يَجْعَلُنَا نَدْعُو اللهَ دَائِمًا أَنْ يُجَنِّبَنَا صِفَاتِ المُنَافِقِينَ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا قَالُوا صَدَقُوا، وَإِذَا وَعَدُوا أَوْفَوْا.

حَسَّانُ: يَعْنِي أَنْ نُحَاوِلَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُنَا كَبَاطِنِنَا؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ! أَنْ تَكُونَ الكَلِمَاتُ الَّتِي تَقُولُهَا مُطَابِقَةً لِمَا فِي قَلْبِكَ، وَأَنْ تَكُونَ أَفْعَالُكَ مُتَنَاسِقَةً مَعَ نِيَّتِكَ الصَّادِقَةِ فِي رِضَا اللهِ. هَذَا مَا يُسَمَّىٰ بِالصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ، وَهُمَا عَكْسُ النِّفَاقِ.

الأَبُ: وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ النِّفَاقِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: النِّفَاقُ هُوَ إِظْهَارُ الخَيْرِ وَإِخْفَاءُ الشَّرِّ، وَهُوَ نَوْعَانِ: اعْتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ.
- **حَسَّانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: النِّفَاقُ الأَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَصَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.
- **رَزَانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ الأَصْغَرِ: الكَذِبُ، وإِخْلَافُ الوَعْدِ، والغَدْرُ.
- **رَيَّانُ**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُخْلِصَ فِي أَعْمَالِنَا لِلهِ، وَنَبْتَعِدَ عَنِ الرِّيَاءِ.
- **تَسْنِيمُ**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: نَحْرِصُ عَلَىٰ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ فِي كُلِّ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا لِنَكُونَ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ.

***

قِصّة: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ.. رِحْلَةٌ سَمَاوِيّةٌ وَمُعْجِزَاتٌ إِلَهِيّةٌ

أَحِبَّائِي الكِرَامَ، دَعُونَا اليَوْمَ نَنْتَقِلْ إِلَىٰ قِصَّةٍ مِنْ أَعْظَمِ المُعْجِزَاتِ الَّتِي خَصَّ اللهُ بِهَا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّهَا قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ.

حَسَّانُ: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ؟ وَمَا مَعْنَىٰ هَذَا يَا أَبِي؟ هَلْ هِيَ قِصَّةُ سَفَرٍ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، إِنَّهَا رِحْلَةٌ عَظِيمَةٌ وَمُذْهِلَةٌ. الإِسْرَاءُ هُوَ الرِّحْلَةُ اللَّيْلِيَّةُ الَّتِي أَسْرَىٰ اللهُ بِهَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ فِي القُدْسِ الشَّرِيفِ. أَمَّا المِعْرَاجُ فَهُوَ صُعُودُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ إِلَىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ، وَمَا فَوْقَهَا. كُلُّ هَذَا حَدَثَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ!

رَزَانُ: لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ؟! كَيْفَ هَذَا يَا أَبِي؟ وَهَلْ رَأَىٰ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمُعْجِزَاتِهِ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ تَكْرِيمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَخْفِيفًا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَذَىٰ وَالمَتَاعِبِ فِي مَكَّةَ.

دَعُونِي أَقُصُّ عَلَيْكُمْ تَفَاصِيلَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ:

* **بِدَايَةُ الرِّحْلَةِ (الإِسْرَاءُ):** بَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشَقَّ صَدْرَهُ وَطَهَّرَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ بَيْضَاءُ أَكْبَرُ مِنَ الحِمَارِ وَأَصْغَرُ مِنَ البَغْلِ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَىٰ طَرْفِهِ. رَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البُرَاقَ مَعَ جِبْرِيلَ، وَانْطَلَقَا بِسُرْعَةٍ حَتَّىٰ وَصَلَا إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ.

* **الصُّعُودُ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ (المِعْرَاجُ)**: بَدَأَ الجُزْءُ الثَّانِي مِنَ الرِّحْلَةِ، وَهُوَ الصُّعُودُ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ. صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِبْرِيلُ مَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الأُولَىٰ، فَاسْتَأْذَنَا، فَفُتِحَ لَهُمَا. فِي كُلِّ سَمَاءٍ كَانَ يَرَىٰ نَبِيًّا وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ:

* **فِي السَّمَاءِ الأُولَىٰ**: التَقَىٰ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ**: التَقَىٰ بِيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**: التَقَىٰ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ**: التَقَىٰ بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ الخَامِسَةِ**: التَقَىٰ بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ**: التَقَىٰ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
* **فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ**: التَقَىٰ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* **سِدْرَةُ المُنْتَهَىٰ وَرُؤْيَةُ الآيَاتِ الكُبْرَىٰ**: ثُمَّ صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ، وَهِيَ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، عِنْدَهَا يَنْتَهِي كُلُّ مَا يَصْعَدُ مِنَ الأَرْضِ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ. وَعِنْدَهَا رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَىٰ مَا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ، وَرَأَىٰ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَسَمِعَ صَرِيفَ الأَقْلَامِ (أَصْوَاتَ الأَقْلَامِ الَّتِي تَكْتُبُ بِهَا المَلَائِكَةُ أَقْدَارَ العِبَادِ).

* **فَرْضُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ**: وَفِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ، فَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ. فِي البِدَايَةِ فُرِضَتْ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَلَّ يُرَاجِعُ رَبَّهُ وَيَطْلُبُ التَّخْفِيفَ، بِتَوْجِيهٍ مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّىٰ

صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الأَدَاءِ، وَلَكِنَّ أَجْرَهَا يَبْقَىٰ أَجْرَ خَمْسِينَ صَلَاةً بِفَضْلِ اللهِ وَكَرَمِهِ.

* **شُرْبُ اللَّبَنِ وَصَلَاةُ الأَنْبِيَاءِ:** وَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: "الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ". ثُمَّ نَزَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ المَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ وَنَزَلَ مَعَهُ بَعْضُ الأَنْبِيَاءِ كَمَا رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفِيهِ: «... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي: نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ - أَيْ: رُؤْيَةُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَرُؤْيَةُ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ، لَمَّا رَأَىٰ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَرَأَىٰ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَيُوسُفَ فِي الثَّالِثَةِ، وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ، وَهَارُونَ فِي الخَامِسَةِ، وَمُوسَىٰ فِي السَّادِسَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ، أَوْ بِالعَكْسِ: فَهَذَا رَأَىٰ أَرْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُوَرِ أَبْدَانِهِمْ. وَأَمَّا كَوْنُهُ رَأَىٰ مُوسَىٰ قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وَرَآهُ فِي السَّمَاءِ

أَيْضًا، فَهَذَا لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا؛ فَإِنَّ أَمْرَ الأَرْوَاحِ مِنْ جِنْسِ أَمْرِ المَلَائِكَةِ، فِي اللَّحْظَةِ الوَاحِدَةِ تَصْعَدُ وَتَهْبِطُ كَالمَلَكِ، لَيْسَتْ فِي ذَلِكَ كَالبَدَنِ" انْتَهَىٰ مِنْ (١).

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَالَّذِي رَآهُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنَّمَا هُوَ أَرْوَاحُهُمْ، إِلَّا عِيسَىٰ، فَإِنَّهُ رُفِعَ بِجَسَدِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ" انْتَهَىٰ مِنْ (٢).

رَيَّانُ: يَا لَهَا مِنْ رِحْلَةٍ عَجِيبَةٍ! وَمَاذَا حَدَثَ عِنْدَمَا عَادَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ مَكَّةَ؟

الأَبُ: عِنْدَمَا عَادَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ، وَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا حَدَثَ، كَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ وَاسْتَهْزَأَتْ بِهِ. وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَمَا سَمِعَ الخَبَرَ، قَالَ كَلِمَتَهُ المَشْهُورَةَ: "لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ. إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا". وَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ، لُقِّبَ أَبُو بَكْرٍ بِـ "الصِّدِّيقِ"، لِتَصْدِيقِهِ المُطْلَقِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ الكُبْرَىٰ.
- **حَسَّانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: أَظْهَرَتْ مَكَانَةَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَالِيَةَ عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهُ إِمَامُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ.
- **رَزَانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ فُرِضَتِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَيَجِبُ أَنْ نُحَافِظَ عَلَيْهَا.

---

(١) "مَجْمُوعِ الفَتَاوَىٰ" (٤/٣٢٨).
(٢) "فَتْحِ البَارِي" (٢/١١٣).

- **رَيَّانُ**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: نَتَعَلَّمُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قُوَّةَ الإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ المُطْلَقِ لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **تَسْنِيمُ**: المَسْجِدُ الأَقْصَىٰ لَهُ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الإِسْلَامِ، وَقَدْ بَارَكَ اللهُ حَوْلَهُ.
- خِتَامًا نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحَرِّرَ البَيْتَ المَقْدِسَ مِنَ اليَهُودِ المُجْرِمِينَ وَأَنْ يَحْفَظَ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ.

***

قِصّة : نُجومُ الهُدَى.. الصّحابَةُ الكِرامُ (مَكانَةُ الصّحابَةِ)

مَرْحَبًا أَحْبَابِي الكِرَامَ، لَقَدْ تَعَلَّمْنَا عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي جَاءَنَا بِالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. وَلَكِنْ، هَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ هُمُ الأَشْخَاصُ الَّذِينَ صَاحَبُوا النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ مُبَاشَرَةً، وَسَاعَدُوهُ عَلَى نَشْرِ الإِسْلَامِ؟ إِنَّهُمُ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ.

حَسَّانُ: هَلْ هُمْ مِثْلُ أَصْدِقَائِهِ؟

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا حَسَّانُ! الصَّحَابِيُّ هُوَ كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا وَمَاتَ عَلَى الإِسْلَامِ، وَلَوْ لَقِيَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً. هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ يَا أَوْلَادِي هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ:

- آمَنُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقُوهُ فِي وَقْتٍ كَانَ الكَثِيرُونَ يُكَذِّبُونَهُ.
- سَاعَدُوهُ وَنَصَرُوهُ فِي نَشْرِ الإِسْلَامِ، وَضَحَّوْا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ.
- تَعَلَّمُوا الدِّينَ مِنْهُ مُبَاشَرَةً، وَبَلَّغُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ. فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ اخْتَارَ الصَّحَابَةَ لِنُصْرَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا دِينُنَا بِهَذِهِ الدِّقَّةِ.

رَزَانُ: وَمَا هِيَ صِفَاتُهُمُ الَّتِي نَتَعَلَّمُهَا مِنْهُمْ؟

الأَبُ: الصَّحَابَةُ يَا رَزَانُ كَانُوا أَصْحَابَ قُلُوبٍ مَلِيئَةٍ بِالإِيمَانِ وَالصِّدْقِ. مِنْ صِفَاتِهِمُ العَظِيمَةِ:

- **حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ**: كَانَ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ، فَقَدَّمُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ دِينِ اللهِ.
- **الشَّجَاعَةُ وَالتَّضْحِيَةُ**: وَقَفُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشَدِّ الظُّرُوفِ، وَدَافَعُوا عَنِ الإِسْلَامِ بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ.

• **العِلْمُ وَالعَمَلُ**: حَرَصُوا عَلَىٰ تَعَلُّمِ كُلِّ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَهُ، وَعَمِلُوا بِهِ.

• **التَّآخِي وَالمَحَبَّةُ**: كَانُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ فِي اللهِ، يُسَاعِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

رَيَّانُ: وَهَلْ نُحِبُّهُمْ يَا أَبِي؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَيَّانُ! حُبُّ الصَّحَابَةِ مِنْ أُصُولِ دِينِنَا. فَنَحْنُ نُحِبُّهُمْ كُلَّهُمْ، وَنَحْتَرِمُهُمْ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالخَيْرِ. وَهُمْ أَفْضَلُ القُرُونِ بِشَهَادَةِ نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا لَوْ سَمِعْنَا مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ بِالسُّوءِ؟

الأَبُ: لَا يَا بُنَيَّ، مَنْ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِالسُّوءِ، لِأَنَّهُمْ هُمْ مَنْ نَقَلُوا لَنَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. إِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا يَسُبُّهُمْ أَوْ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ لَا يَلِيقُ، فَتَذَكَّرْ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ المُسْلِمِ الحَقِّ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ هُمُ الأَفْضَلُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ. وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُمْ فَهُوَ يَطْعَنُ فِي دِينِنَا وَفِي نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رَضِيَ عَنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر: ١٠].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وَالآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَى**: الصَّحَابَةُ الكِرَامُ هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ.
- **حَسَّانُ: الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: هُمْ مَنْ نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلُوا لَنَا الدِّينَ.
- **رَزَانُ: الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: نُحِبُّهُمْ كُلَّهُمْ وَنَحْتَرِمُهُمْ، وَلَا نَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ بِسُوءٍ أَبَدًا.
- **رَيَّانُ: الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: نَتَعَلَّمُ مِنْهُمُ الصِّدْقَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَحُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ.
- **تَسْنِيمُ: الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: الإِيمَانُ الصَّحِيحُ يَجْعَلُنَا نُقَدِّرُ الصَّحَابَةَ وَنُحِبُّهُمْ وَنَدْعُو لَهُمْ.
- **الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ**: لَا يَتَكَلَّمُ فِي الصَّحَابَةِ وَيَسُبُّهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ خَبِيثٌ يَسْعَى لِهَدْمِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ تَشْوِيهَهُمْ يُعَدُّ تَشْوِيهًا لِلدِّينِ الَّذِي نَقَلُوهُ لَنَا عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

قِصّة: العَشَرَةُ المُبَشّرُونَ بِالجَنّة

أَحْبَابِي الأَبْطَالُ، لَقَدْ تَعَلَّمْنَا كَيْفَ نُحِبُّ الصَّحَابَةَ الكِرَامَ جَمِيعًا، وَكَيْفَ نُقَدِّرُ جُهُودَهُمْ فِي نَشْرِ الإِسْلَامِ. وَاليَوْمَ، سَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَجْمُوعَةٍ خَاصَّةٍ جِدًّا مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ، خَصَّهُمُ اللهُ بِبُشْرَىٰ عَظِيمَةٍ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدُّنْيَا. إِنَّهُمُ العَشَرَةُ المُبَشَّرُونَ بِالجَنَّةِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي "مُبَشَّرُونَ بِالجَنَّةِ" يَا أَبِي؟

الأَبُ: يَعْنِي يَا حَسَّانُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا بِأَسْمَائِهِمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، أَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِإِذْنِ اللهِ. هَذِهِ بُشْرَىٰ عَظِيمَةٌ لَهُمْ وَلَنَا، لِنَعْلَمَ مَكَانَتَهُمُ العَالِيَةَ عِنْدَ اللهِ.

رَزَانُ: وَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ العَشَرَةُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: هُمْ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ:

١. أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. كَانَ صَدِيقَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الهِجْرَةِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ.

٢. عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثَانِي الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَكَانَ قَوِيًّا فِي الحَقِّ، وَعَادِلًا جِدًّا.

٣. عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ثَالِثُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَكَانَ حَيِيًّا كَرِيمًا، وَجَمَعَ القُرْآنَ الكَرِيمَ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ.

٤. عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رَابِعُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَكَانَ شُجَاعًا وَعَالِمًا، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ.

٥. طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَبُهُ "الفَيَّاضُ" لِكَثْرَةِ كَرَمِهِ، وَكَانَ شُجَاعًا فِي الحُرُوبِ.

٦. الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَوَارِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَيْ صَدِيقُهُ المُقَرَّبُ وَنَاصِرُهُ)، وَكَانَ شُجَاعًا جِدًّا.

٧. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ تَاجِرًا أَمِينًا وَغَنِيًّا، وَأَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٨. سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَاةِ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةً.

٩. سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ شُجَاعًا وَصَابِرًا.

١٠. أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَبُهُ "أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ"، وَكَانَ قَائِدًا عَظِيمًا.

رَيَّانُ: مَا هِيَ أَبْرَزُ صِفَاتِهِمُ الَّتِي جَعَلَتْهُمْ مُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ؟

الأَبُ: هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ يَا رَيَّانُ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، **كَانُوا يَتَمَيَّزُونَ بِصِفَاتٍ عَظِيمَةٍ**:

- **صِدْقُ الإِيمَانِ وَقُوَّةُ اليَقِينِ**: لَمْ يَتَرَدَّدُوا لَحْظَةً فِي الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ.
- **التَّضْحِيَةُ وَالفِدَاءُ**: ضَحَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ الإِسْلَامِ.
- **الشَّجَاعَةُ فِي الحَقِّ**: لَمْ يَخَافُوا لَوْمَةَ لَائِمٍ فِي قَوْلِ الحَقِّ وَالعَمَلِ بِهِ.
- **الإِخْلَاصُ فِي العِبَادَةِ**: كَانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ بِإِخْلَاصٍ شَدِيدٍ، وَيُحِبُّونَ الخَيْرَ.
- **حُبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَحَبُّوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبًّا عَظِيمًا، وَاتَّبَعُوا سُنَّتَهُ بِدِقَّةٍ.

حَسَّانُ: هَلْ نَتَعَلَّمُ مِنْ قَصَصِهِمْ؟

الأَبُ: بِالتَّأْكِيدِ يَا حَسَّانُ! قَصَصُ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ وَقَصَصُ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ هِيَ دُرُوسٌ لَنَا. نَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ كَيْفَ نَكُونُ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ، كَيْفَ نُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، كَيْفَ نُضَحِّي فِي سَبِيلِ الحَقِّ، وَكَيْفَ نُخْلِصَ فِي أَعْمَالِنَا. فَهُمْ قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ لَنَا بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ.

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: العَشَرَةُ المُبَشَّرُونَ بِالجَنَّةِ هُمْ صَحَابَةٌ كِرَامٌ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ.
- **حَسَّانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، وَلَهُمْ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللهِ.
- **رَزَانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: نَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ صِدْقَ الإِيمَانِ، وَالتَّضْحِيَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالإِخْلَاصَ.
- **رَيَّانُ**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: حُبُّهُمْ وَاحْتِرَامُهُمْ مِنْ أُصُولِ دِينِنَا، وَهُمْ قُدْوَةٌ لَنَا.
- **تَسْنِيمُ**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: البُشْرَىٰ بِالجَنَّةِ هِيَ جَزَاءٌ لِصِدْقِهِمْ وَتَضْحِيَاتِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ.
- **الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ**: الَّذِي يَسُبُّ الصَّحَابَةَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ مَنْ حَمَلُوا لَنَا هَذَا الدِّينَ، فَسَبُّهُمْ يُعْتَبَرُ سَبًّا لِلْإِسْلَامِ وَيُعْتَبَرُ سَبًّا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اسْتَخْلَفَهُمْ عَلَىٰ أُمَّتِهِ، وَيُعْتَبَرُ سَبًّا لِرَبِّ العَالَمِينَ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي رَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

***

قِصّة: أُمّهاتُ المُؤْمنِينَ.. قُدُواتٌ مِنْ نُورٍ

أَحِبَّائِيَ الكِرَامَ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنِ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، دَعُونَا نَنْتَقِلْ اليَوْمَ إِلَىٰ حَدِيثٍ عَظِيمٍ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النِّسَاءِ الفَاضِلَاتِ، اللَّاتِي خَصَّهُنَّ اللهُ بِمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ فِي الإِسْلَامِ، وَهُنَّ زَوْجَاتُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُعْرَفْنَ بِـ "أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ". كَمَا قَالَ رَبُّنَا الكَرِيمُ: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦].

حَسَّانُ: وَمَاذَا يَعْنِي "أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ" يَا أَبِي؟

الأَبُ: يَعْنِي يَا حَسَّانُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَنَا أَنْ نُحِبَّهُنَّ وَنَحْتَرِمَهُنَّ وَنُوَقِّرَهُنَّ كَأُمَّهَاتِنَا، لِأَنَّهُنَّ زَوْجَاتُ نَبِيِّنَا الكَرِيمِ، وَلَهُنَّ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي نَقْلِ الدِّينِ إِلَيْنَا.

رَزَانُ: وَمَنْ هُنَّ يَا أَبِي؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ. لَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ زَوْجَةً فَاضِلَةً، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قِصَّةٌ وَفَضْلٌ عَظِيمٌ. **سَأَذْكُرُ لَكُمْ أَسْمَاءَهُنَّ جَمِيعًا:**

١. خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: هِيَ أَوَّلُ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كَانَتْ نِعْمَ السَّنَدُ وَالعَوْنُ لَهُ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ، وَصَدَّقَتْهُ وَآمَنَتْ بِهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ. كَانَتِ امْرَأَةً حَكِيمَةً، كَرِيمَةً، وَذَاتَ مَالٍ وَجَاهٍ، أَنْفَقَتْ كُلَّ مَالِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ.

٢. سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ آمَنَ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ، وَكَانَتِ امْرَأَةً فَاضِلَةً وَصَالِحَةً.

٣. عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: هِيَ أَحَبُّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَهِيَ ابْنَةُ صَدِيقِهِ المُقَرَّبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. كَانَتْ عَالِمَةً

وَفَقِيهَةً، وَرَوَتِ الكَثِيرَ مِنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَكَانَتْ مَرْجِعًا لِلصَّحَابَةِ فِي أُمُورِ الدِّينِ. رَوَىٰ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجَالًا.

٤. حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هِيَ ابْنَةُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَانِي الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. كَانَتِ امْرَأَةً صَالِحَةً، صَوَّامَةً قَوَّامَةً، وَكَانَتْ حَافِظَةً لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ.

٥. زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ (المَعْرُوفَةُ بِـ "أُمِّ المَسَاكِينِ") رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لُقِّبَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ عَطْفِهَا عَلَىٰ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَحُبِّهَا لِمُسَاعَدَتِهِمْ.

٦. أُمُّ سَلَمَةَ (هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأَوَائِلِ، وَعُرِفَتْ بِحِكْمَتِهَا وَرَجَاحَةِ عَقْلِهَا. كَانَتْ مُسْتَشَارَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الأُمُورِ، وَلَهَا مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ فِقْهِهَا وَعَقْلِهَا.

٧. زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً بِكَثْرَةِ عِبَادَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا، وَكَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ بِمَا تَكْسِبُ.

٨. جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ، وَأَسْلَمَتْ وَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي عِتْقِ الكَثِيرِ مِنْ قَوْمِهَا وَإِسْلَامِهِمْ.

٩. أُمُّ حَبِيبَةَ (رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ هُنَاكَ، وَكَانَتْ صَابِرَةً عَلَىٰ دِينِهَا.

١٠. صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ مِنْ نَسْلِ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، وَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ لَهَا مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ.

١١. مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: آخِرُ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتِ امْرَأَةً فَاضِلَةً تَقِيَّةً.

رَيَّانُ: مَا هِيَ أَبْرَزُ صِفَاتِهِنَّ الَّتِي جَعَلَتْهُنَّ أُمَّهَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَهُنَّ هَذِهِ المَكَانَةُ العَظِيمَةُ؟

الأَبُ: هَؤُلَاءِ الأُمَّهَاتُ الفُضْلَيَاتُ يَا رَيَّانُ، كُنَّ يَتَمَيَّزْنَ بِصِفَاتٍ عَظِيمَةٍ جَعَلَتْهُنَّ قُدُوَاتٍ لَنَا:

- **الإِيمَانُ الصَّادِقُ وَالتَّقْوَىٰ**: كُنَّ مُؤْمِنَاتٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ إِيمَانًا لَا يَتَزَعْزَعُ، وَيَتَّقِينَ اللهَ فِي كُلِّ أُمُورِهِنَّ.
- **الطَّاعَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: كُنَّ يُطِعْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ، وَيَحْرِصْنَ عَلَىٰ رِضَاهُ.
- **الصَّبْرُ وَالتَّضْحِيَةُ**: تَحَمَّلْنَ الكَثِيرَ مِنَ المَصَاعِبِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَضَحَّيْنَ بِأَمْوَالِهِنَّ وَأَوْقَاتِهِنَّ.
- **العِلْمُ وَالفِقْهُ**: كُنَّ يَتَعَلَّمْنَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَاشَرَةً، وَيَنْقُلْنَ عَنْهُ العِلْمَ وَالأَحَادِيثَ، وَكُنَّ مَرْجِعًا لِلصَّحَابَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ.
- **الكَرَمُ وَالجُودُ**: كُنَّ يَتَصَدَّقْنَ وَيُنْفِقْنَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيُسَاعِدْنَ المُحْتَاجِينَ.

• **القُدْوَةُ الحَسَنَةُ:** كُنَّ مِثَالًا لِلْمَرْأَةِ المُسْلِمَةِ الصَّالِحَةِ، فِي أَخْلَاقِهِنَّ، وَعَفَافِهِنَّ، وَحِشْمَتِهِنَّ.

نَتَعَلَّمُ مِنْهُنَّ كَيْفَ نَكُونُ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ، كَيْفَ نُطِيعُ اللهَ وَرَسُولَهُ، كَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ الشَّدَائِدِ، وَكَيْفَ نَكُونُ قُدْوَةً حَسَنَةً فِي حَيَاتِنَا. إِنَّهُنَّ قُدُوَاتٌ لَنَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

وَالآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ؟

• **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ:** أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ هُنَّ زَوْجَاتُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُنَّ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الإِسْلَامِ.

• **حَسَّانُ: الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ:** يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّهُنَّ وَنَحْتَرِمَهُنَّ وَنُوَقِّرَهُنَّ كَأُمَّهَاتِنَا.

• **رَزَانُ: الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:** كُنَّ قُدُوَاتٍ حَسَنَةً فِي الإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالصَّبْرِ، وَالعِلْمِ، وَالكَرَمِ.

• **رَيَّانُ: الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:** نَتَعَلَّمُ مِنْ قَصَصِهِنَّ كَيْفَ نَكُونُ مُسْلِمِينَ صَالِحِينَ وَنَقْتَدِي بِهِنَّ فِي حَيَاتِنَا.

• **تَسْنِيمُ: الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ:** لَهُنَّ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي نَقْلِ الدِّينِ إِلَيْنَا، وَكُنَّ رَكِيزَةً أَسَاسِيَّةً فِي بِنَاءِ المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ الأَوَّلِ.

رَضِيَ اللهُ عَنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ.

***

قِصّة : أمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها .. حَبِيبَةُ الرّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَعَالِمَةُ الأُمّةِ

مَرْحَبًا بِكُمْ أَبْنَائِي الأَعِزَّاءَ. بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفْنَا عَلَىٰ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، اليَوْمَ سَنَتَوَقَّفُ عِنْدَ قِصَّةٍ مُمَيَّزَةٍ لِإِحْدَىٰ أَفْضَلِهِنَّ، وَهِيَ أُمُّنَا عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَةُ نَبِيِّنَا الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَسَّانُ: وَهَلْ كَانَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ مُهِمَّةً جِدًّا يَا أَبِي؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، كَانَتْ مُهِمَّةً جِدًّا، بَلْ مِنْ أَهَمِّ الصَّحَابِيَّاتِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ! لَقَدْ كَانَتْ أَحَبَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ لَهَا مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ جِدًّا فِي قَلْبِهِ، وَمَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الإِسْلَامِ كُلِّهِ.

رَزَانُ: وَمَا الَّذِي جَعَلَهَا بِهَذِهِ الأَهَمِّيَّةِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: هُنَاكَ الكَثِيرُ مِنْ مُمَيِّزَاتِهَا يَا رَزَانُ! وَسَنَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ فَضَائِلِهَا وَقَصَصِهَا العَظِيمَةِ:

- **حُبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا**: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ يُظْهِرُ ذَلِكَ الحُبَّ لِلْجَمِيعِ. عِنْدَمَا سُئِلَ: "مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟" قَالَ: «عَائِشَةُ». فَسُئِلَ: "وَمِنَ الرِّجَالِ؟" قَالَ: «أَبُوهَا»، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَكَانَتِهَا العَالِيَةِ عِنْدَهُ.
- **ذَكَاؤُهَا وَعِلْمُهَا الوَفِيرُ**: كَانَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَالِمَةً وَفَقِيهَةً وَذَكِيَّةً جِدًّا. تَعَلَّمَتِ الكَثِيرَ مِنَ الدِّينِ مُبَاشَرَةً مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ تَحْفَظُ وَتَفْهَمُ الأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ بِبَرَاعَةٍ. حَتَّىٰ إِنَّ كِبَارَ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَسْأَلُونَهَا عَنْ أُمُورِ الدِّينِ

بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ تُجِيبُهُمْ بِعِلْمٍ وَفَهْمٍ كَبِيرٍ. لَقَدْ رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ حَدِيثٍ! تَخَيَّلُوا غَزَارَةَ عِلْمِهَا!

- **قِصَّةُ الإِفْكِ العَظِيمِ**: مَرَّتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ بِقِصَّةٍ صَعْبَةٍ جِدًّا فِي حَيَاتِهَا تُسَمَّىٰ حَادِثَةَ الإِفْكِ. حَيْثُ اتَّهَمَهَا بَعْضُ المُنَافِقِينَ بِشَيْءٍ بَاطِلٍ، وَحَزِنَتْ حُزْنًا شَدِيدًا هِيَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ. وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ (فِي سُورَةِ النُّورِ) تُبَرِّئُهَا مِنْ هَذَا الافْتِرَاءِ وَتُظْهِرُ طَهَارَتَهَا. وَهَذِهِ الحَادِثَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ طُهْرِهَا وَعِفَّتِهَا وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ دَافَعَ عَنْهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.
- **بَرَكَةٌ جَعَلَهَا اللهُ لَهَا**: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهَا، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ فَضْلِهَا وَبَرَكَتِهَا.
- **تَوَاضُعُهَا وَكَرَمُهَا**: بِالرَّغْمِ مِنْ مَكَانَتِهَا العَظِيمَةِ وَعِلْمِهَا الوَفِيرِ، كَانَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ مُتَوَاضِعَةً وَكَرِيمَةً جِدًّا. كَانَتْ تَتَصَدَّقُ بِمَا تَمْلِكُ وَلَا تَدَّخِرُ شَيْئًا.
- **رَيَّانُ**: سُبْحَانَ اللهِ! كَانَتْ عَظِيمَةً حَقًّا. مَاذَا نَتَعَلَّمُ مِنْ قِصَّةِ أُمِّنَا عَائِشَةَ؟
- **الأَبُ**: نَتَعَلَّمُ مِنْهَا يَا رَيَّانُ دُرُوسًا كَثِيرَةً:
- **أَهَمِّيَّةُ العِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ**: كَانَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ مِثَالًا فِي طَلَبِ العِلْمِ وَحِفْظِهِ وَنَشْرِهِ، وَهَذَا يُشَجِّعُنَا عَلَىٰ التَّعَلُّمِ وَالفَهْمِ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا.
- **الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ**: رَغْمَ المِحْنَةِ الكَبِيرَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا فِي حَادِثَةِ الإِفْكِ، إِلَّا أَنَّهَا صَبَرَتْ وَاحْتَسَبَتْ، وَجَاءَ الفَرَجُ مِنَ اللهِ. هَذَا يُعَلِّمُنَا الصَّبْرَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ فِي أَوْقَاتِ الشِّدَّةِ.

- **مَكَانَةُ المَرْأَةِ فِي الإِسْلَامِ:** أُمُّنَا عَائِشَةُ تُظْهِرُ لَنَا كَيْفَ أَنَّ المَرْأَةَ المُسْلِمَةَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَالِمَةً، فَقِيهَةً، مُؤَثِّرَةً، وَلَهَا دَوْرٌ عَظِيمٌ فِي نَشْرِ الدِّينِ وَتَعْلِيمِهِ.
- **حُبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَتَقْدِيرُهُ لَهُمْ.**

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

- تَسْنِيمُ: **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ:** أُمُّنَا عَائِشَةُ كَانَتْ أَحَبَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَذَاتَ مَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ.
- حَسَّانُ: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ:** كَانَتْ عَالِمَةً وَفَقِيهَةً وَذَكِيَّةً جِدًّا، وَرَوَتِ الكَثِيرَ مِنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.
- رَزَانُ: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:** اللهُ تَعَالَىٰ بَرَّأَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فِي حَادِثَةِ الإِفْكِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ طُهْرِهَا وَعِفَّتِهَا.
- رَيَّانُ: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:** نَتَعَلَّمُ مِنْهَا الصَّبْرَ، وَطَلَبَ العِلْمِ، وَأَهَمِّيَّةَ دَوْرِ المَرْأَةِ فِي الإِسْلَامِ، وَحُبَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا.

رَضِيَ اللهُ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ الطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ الصَّالِحَةِ التَّقِيَّةِ.

***

رحلة إلى عالم البرزخ

أحبائي الأبطال، هذه قصة عظيمة ورؤيا صادقة رآها نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُظهر لنا عظمة الله وقدرته على إظهار الحقائق الغيبية. إنها رحلة قام بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عالم البرزخ، وعالم البرزخ كما مر معنا هو المرحلة التي تلي خروج أرواح الأموات حتى يوم البعث والنشور والنفخ في الصور، وهي التي قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فيها: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [سورة المؤمنون:١٠٠].

ففي هذه الرحلة، رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جزاء وعقابًا لبعض الأشخاص الذين ارتكبوا المعاصي في الدنيا. هذه القصة درس لنا؛ لنبتعد عن المعاصي ونحرص على الطاعات.

حَسَّان: يا أبي! هل رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأشياء حقًّا؟

الأب: نعم يا بُنَيَّ، هذه رؤيا حق من الله، لأن الأنبياء لا يرون إلا الحق. يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاني الليلةَ آتيان» أي: ملكان، "وقالا لي: «انطلق». فذهب معهما، فرأى عجائب.

رَزَان: وماذا رأى أولًا؟

الأب: رأى رجلًا مُضطجعًا، وآخر قائمًا عليه بصخرة كبيرة، يضرب بها رأسه حتى يتفتت. وكلما تفتت رأسه، عاد سليمًا مرة أخرى، فيضربه مرة ثانية. فتعجَّب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأل: «ما هذان؟» فقالا له: «انطلق انطلق».

رَيَّان: يا سبحان الله! هذا عذاب مؤلم!

الأب: نعم يا رَيَّان. ثم انطلقا، فرأىٰ رجلًا آخر مُستلقيًا، ورجلًا آخر بيده كُلّوب من حديد، يُمَزِّق به وجهه وشفتيه وعينيه إلىٰ قفاه. فإذا انتهىٰ من جانب، عاد ذلك الجانب كما كان، ثم مزَّق الجانب الآخر.

تَسْنِيم: وماذا رأىٰ أيضًا؟

الأب: انطلقا، فرأىٰ فُرْنًا يُشبه التنور، فيه أصوات وضوضاء، فإذا فيه رجال ونساء عُراة، يأتيهم لهب من الأسفل، فيصرخون من شدة الألم. ثم رأىٰ نهرًا أحمر مثل الدم، وفيه رجل يسبح، وعلىٰ شاطئه رجل آخر، كلما خرج الرجل من النهر، ألقم الآخر في فمه حجرًا، فيعود إلىٰ السباحة. ثم رأىٰ رجلًا قبيحَ المنظر، يُوقِد نارًا ويسعىٰ حولها.

حَسَّان: وماذا كانت نهاية الرحلة؟

الأب: انطلقا به إلىٰ روضة جميلة فيها كل أنواع الزهور، ورأىٰ رجلًا طويلًا، وحوله الكثير من الأطفال. ثم صعدا إلىٰ مدينة مبنية بالذهب والفضة، ودخلاها، فوجدا فيها رجالًا نصفهم جميل، ونصفهم قبيح، فأمراهُم أن يذهبوا ويغتسلوا في نهر أبيض صافٍ، فخرجوا منه في أجمل صورة. فقال له الملكان: "هذه جنة عدن، وهذاك منزلك!".

لَيَان: وماذا كان تفسير هذه الرؤيا؟

الأب: هنا يأتي أهم جزء في القصة. سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملكين عن كل ما رأىٰ، فأجاباه:

* **الرجل الذي يُضرب رأسه بالحجارة**: هو الذي يأخذ القرآن فلا يعمل به، وينام عن الصلاة المكتوبة.

* **الرجل الذي يُمَزَّق وجهه بالكُلّوب**: هو الكاذب الذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق.

* **الرجال والنساء العُراة في التنور**: هم الزُّنَاة والزَّوَانِي.

* **الرجل الذي يسبح في النهر الأحمر ويُلْقَم الحجارة**: هو آكل الرِّبَا.

* **الرجل القبيح عند النار**: هو مالك خازن جهنم.

* **الرجل الطويل في الروضة والأطفال حوله**: هو إبراهيم عليه السلام، والأطفال هم كل من مات على الفطرة، حتى أطفال المشركين.

* **الرجال الذين نصفهم جميل ونصفهم قبيح**: هم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فتابوا فغفر الله لهم.

الآن يا أولادي، ما هي أهم الدروس التي تعلمناها من هذه الرحلة العظيمة؟

- **حَسَّان**: أنا تعلمت أن النوم عن الصلاة وعدم العمل بالقرآن له عقاب شديد في القبر.
- **رَزَان**: وفهمت أن الكذب ليس مجرد كلمة، بل هو ذنب عظيم يُعاقب عليه الإنسان في القبر.
- **رَيَّان**: وعلمت أن الزنا وأكل الربا من أكبر الذنوب التي لها عقاب في عالم البرزخ قبل يوم القيامة.
- **تَسْنِيم**: وأنا فهمت أن أطفال المسلمين والمشركين الذين يموتون وهم صغار، مكانهم في الجنة مع إبراهيم عليه السلام.
- **حَسَّان**: أنا أرى أن القصة تعلمنا أن أعمالنا في الدنيا هي التي تحدد مصيرنا في القبر.

- **رَزَان**: وأن التوبة الصادقة من الذنوب يمكن أن تمحو ما مضىٰ، مثل حال من خلطوا عملًا صالحًا وسيئًا.
- **رَيَّان**: وعلمت أن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب للقراءة، بل هو منهج للحياة يجب أن نعمل به.
- **تَسْنِيم**: وأنا فهمت أن الله رحيم بعباده، وأنه يُمهلهم ليتوبوا، ولكن من أصرَّ علىٰ ذنبه، فإن مصيره العذاب.

الأب: أحسنتم يا أبنائي. هذه القصة تجعلنا نراجع أنفسنا في كل يوم. فاحرصوا علىٰ الصلاة في وقتها، وابتعدوا عن الكذب، واعملوا الصالحات، لأن كل عمل ستحصدون نتيجته في قبركم. فماذا تريدون أن يكون قبركم؟ روضة من رياض الجنة أم حفرة من حفر النار؟

***

قِصّة: القَبْرُ.. بِدايَةُ الرِّحْلَةِ (عَذابُ القَبْرِ ونَعِيمُهُ)

مَرْحَبًا بِكُمْ أَوْلَادِيَ الأَبْطَالُ، فِي القِصَصِ السَّابِقَةِ تَعَلَّمْنَا عَنْ رَبِّنَا العَظِيمِ، وَعَنِ المَلَائِكَةِ الكِرَامِ، وَالكُتُبِ الهَادِيَةِ، وَالرُّسُلِ الكِرَامِ. اليَوْمَ، سَنَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرٍ مُهِمٍّ جِدًّا يَحْدُثُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهُوَ مَا يَكُونُ فِي القَبْرِ مِنَ العَذَابِ أَوِ النَّعِيمِ.

حَسَّانُ: وَمَا هُوَ القَبْرُ يَا أَبِي؟ هَلْ هُوَ فَقَطْ حُفْرَةٌ فِي الأَرْضِ؟

الأَبُ: سُؤَالٌ جَمِيلٌ يَا حَسَّانُ! القَبْرُ هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ. هُوَ لَيْسَ مُجَرَّدَ تُرَابٍ وَظَلَامٍ، بَلْ هُوَ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ. وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ مَا قَدَّمَهُ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا.

رَزَانُ: وَكَيْفَ يَكُونُ القَبْرُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ؟

الأَبُ: لِلْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ الَّذِي أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ، القَبْرُ يَكُونُ مَكَانًا مُبَارَكًا! عِنْدَمَا يَمُوتُ المُؤْمِنُ، تَأْتِيهِ مَلَائِكَةٌ وُجُوهُهُمْ بَيْضَاءُ وَرَائِحَتُهُمْ طَيِّبَةٌ، فَيُبَشِّرُونَهُ بِالجَنَّةِ. وَيُوَسِّعُ اللهُ لَهُ قَبْرَهُ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيُنَوِّرُهُ لَهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ ذُو رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ لِيُؤَانِسَهُ. هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا فِي الدُّنْيَا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الجَنَّةِ، فَيَشُمُّ مِنْ رَائِحَتِهَا الطَّيِّبَةِ وَيَنْعَمُ بِهَوَائِهَا. وَيَنَامُ نَوْمَةَ العَرُوسِ، هَانِئًا مُطْمَئِنًّا حَتَّىٰ يَقُومَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ.

رَيَّانُ: وَهَلْ يَشْعُرُ بِالخَوْفِ أَوِ الوَحْدَةِ؟

الأَبُ: لَا أَبَدًا يَا رَيَّانُ! اللهُ يَعِيشُهُ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ بِفَضْلِ إِيمَانِهِ وَأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ. القَبْرُ يَكُونُ لَهُ مَكَانًا جَمِيلًا وَمُضِيئًا، يَنْتَظِرُ فِيهِ مَوْعِدَ دُخُولِ الجَنَّةِ بِإِذْنِ اللهِ.

حَسَّانُ: وَمَاذَا عَنْ القَبْرِ الَّذِي يَكُونُ حُفْرَةً مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ؟

الأَبُ: أَمَّا الكَافِرُ أَوِ العَاصِي الَّذِي لَمْ يُطِعِ اللهَ وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَخْتَلِفُ. عِنْدَمَا يَمُوتُ، تَأْتِيهِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ وَرَائِحَتُهُمْ كَرِيهَةٌ، فَيُعَذِّبُونَهُ. وَيُضَيِّقُ اللهُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّىٰ تَتَدَاخَلَ أَضْلَاعُهُ، وَيُظْلِمُهُ عَلَيْهِ. وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ لِيُخَاطِبَهُ وَيُوحِشَهُ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَعْمَالُهُ السَّيِّئَةُ الَّتِي كَانَ يَفْعَلُهَا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ، فَيَشُمُّ مِنْ رَائِحَتِهَا الخَبِيثَةِ وَيَلْفَحُهُ مِنْ حَرِّهَا، وَيَظَلُّ فِي عِقَابٍ وَأَلَمٍ حَتَّىٰ يَقُومَ لِيَوْمِ الحِسَابِ.

رَزَانُ: هَذَا مُخِيفٌ يَا أَبِي!

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ، هَذَا يَجْعَلُنَا نُفَكِّرُ جَيِّدًا فِي أَعْمَالِنَا. القَبْرُ هُوَ جَزَاءٌ مُبَكِّرٌ لِأَعْمَالِنَا. إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُنَا صَالِحَةً، فَنَعِيمٌ وَرَاحَةٌ. وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً، فَعَذَابٌ وَشِدَّةٌ.

رَيَّانُ: يَعْنِي كُلُّ مَا نَفْعَلُهُ فِي الدُّنْيَا سَيُؤَثِّرُ عَلَىٰ قَبْرِنَا؟

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! الصَّلَاةُ الَّتِي نُصَلِّيهَا، القُرْآنُ الَّذِي نَقْرَؤُهُ، الأَخْلَاقُ الحَسَنَةُ الَّتِي نَتَعَامَلُ بِهَا مَعَ النَّاسِ، الخَيْرُ الَّذِي نَفْعَلُهُ، كُلُّ هَذَا سَيَكُونُ لَنَا نُورًا وَمُؤَانِسًا فِي قَبْرِنَا. وَفِي المُقَابِلِ، المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتُ سَتَكُونُ ظُلْمَةً وَشِدَّةً. فَلْنَحْرِصْ عَلَىٰ أَعْمَالِنَا!

تَسْنِيمُ: هَلْ وَرَدَ دَلِيلٌ عَلَىٰ عَذَابِ القَبْرِ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي، وَرَدَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

❋ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

❋ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ

ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر:٤٥-٤٦]. فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا" يَدُلُّ عَلَىٰ عَذَابٍ مُسْتَمِرٍّ فِي البَرْزَخِ (القَبْرِ) قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ.

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ الكَافِرِينَ عِنْدَ المَوْتِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٥٠]. وَهَذَا العَذَابُ يَقَعُ فِي لَحْظَةِ الوَفَاةِ، وَهِيَ بِدَايَةُ عَذَابِ القَبْرِ.

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَنِ الكُفَّارِ عِنْدَ المَوْتِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون:٩٩-١٠٠]. وَكَلِمَةُ "بَرْزَخٌ" تُشِيرُ إِلَىٰ وُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَىٰ بَعْدَ المَوْتِ وَقَبْلَ القِيَامَةِ، وَهَذِهِ الحَيَاةُ لَا تَخْلُو مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ.

* قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ الظَّالِمِينَ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة السجدة:٢١]. وَقَدْ فُسِّرَ "العَذَابُ الأَدْنَىٰ" بِعَذَابِ القَبْرِ.

* **وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ وَالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ:**

* حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ». وَكَانَ يَسْتَعِيذُ مِنْهُ فِي صَلَاتِهِ.

* حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». وَهَذَا يُثْبِتُ عَذَابَ القَبْرِ عِيَانًا.

* حَدِيثُ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَفِيهِ أَنَّ المَلَكَيْنِ يَسْأَلَانِ المَيِّتَ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ثَبَتَ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ.

* حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ».

وَالْآنَ يَا أَحْبَائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ القَبْرِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: القَبْرُ هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِمَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ أَوِ العَذَابِ.
- **حَسَّانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: نَعِيمُ القَبْرِ لِلْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ الَّذِي يَفْعَلُ الخَيْرَ، وَعَذَابُ القَبْرِ لِلْكَافِرِ وَالعَاصِي.
- **رَزَانُ**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: أَعْمَالُنَا فِي الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ حَالَنَا فِي القَبْرِ.
- **رَيَّانُ**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: القَبْرُ لَيْسَ مُجَرَّدَ تُرَابٍ، بَلْ هُوَ مَكَانٌ فِيهِ جَزَاءٌ وَحِسَابٌ، سَوَاءً نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا.
- **تَسْنِيمُ**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: يَجِبُ عَلَيْنَا الحِرْصُ عَلَىٰ العَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا لِنَجْعَلَ قَبْرَنَا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ.

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ أَخَذْنَا لَمْحَةً عَنِ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ مِنْ مَحَطَّتِهِ الأُولَىٰ.

***

قصة: يوم البعث والنشور والنفخ في الصور

أَحِبَّائِي الكِرَام، فِي القِصَّةِ السَّابِقَةِ، تَعَلَّمْنَا أَنَّ القَبْرَ هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، وَأَنَّ فِيهِ نَعِيمًا لِلمُؤْمِنِ وَعَذَابًا لِلكَافِرِ، وَلَكِنَّ القِصَّةَ لَا تَنْتَهِي عِنْدَ القَبْرِ! بَلْ هُنَاكَ يَوْمٌ عَظِيمٌ سَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، هُوَ يَوْمُ البَعْثِ وَالنُّشُورِ.

حَسَّان: وَمَاذَا يَعْنِي البَعْثُ وَالنُّشُورُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: البَعْثُ يَا حَسَّانُ هُوَ أَنْ يُحْيِيَ اللهُ المَوْتَىٰ جَمِيعًا بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ. وَالنُّشُورُ هُوَ أَنْ يَنْشُرَهُمْ وَيَجْمَعَهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِلحِسَابِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [سورة المؤمنون: ١٥-١٦].

رَزَان: وَكَيْفَ سَيُحْيِينَا اللهُ بَعْدَ أَنْ نَصِيرَ تُرَابًا؟

الأَبُ: سُبْحَانَ اللهِ! اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ القَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْ لَا شَيْءٍ فِي البِدَايَةِ، أَلَيْسَ قَادِرًا عَلَىٰ إِعَادَتِنَا؟ بَلَىٰ! سَيُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ، فَتَنْبُتُ الأَجْسَادُ مِنْ تُرَابِ القُبُورِ كَمَا تَنْبُتُ النَّبَاتَاتُ مِنَ الأَرْضِ بَعْدَ المَطَرِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ المَلَكَ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ البَعْثِ، فَيَقُومُ النَّاسُ جَمِيعًا مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً.

رَيَّان: وَهَلْ سَنكُونُ كَمَا كُنَّا فِي الدُّنْيَا؟

الأَبُ: سَنُبْعَثُ بِأَجْسَادِنَا وَأَرْوَاحِنَا، وَلَكِنْ بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ. سَنُبْعَثُ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا (غَيْرَ مَخْتُونِينَ). وَسَيَكُونُ يَوْمًا عَظِيمًا، تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وَيَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، كُلُّ نَفْسٍ مَشْغُولَةٌ بِهَمِّهَا.

تَسْنِيم: وَإِلَىٰ أَيْنَ سَنَذْهَبُ بَعْدَ البَعْثِ؟

الأَبُ: سَيُجْمَعُ النَّاسُ جَمِيعًا فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، تُسَمَّىٰ أَرْضَ المَحْشَرِ. هَذِهِ الأَرْضُ لَيْسَتْ كَأَرْضِ الدُّنْيَا، بَلْ هِيَ أَرْضٌ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ، لَمْ يُعْصَ اللهُ عَلَيْهَا قَطُّ. سَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ آخِرِ إِنْسَانٍ مَاتَ.

رَزَان: وَمَاذَا سَيَحْدُثُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ الكَبِيرَةِ؟

الأَبُ: فِي أَرْضِ المَحْشَرِ، سَتَقْتَرِبُ الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ العِبَادِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَشْتَدُّ الحَرُّ جِدًّا، وَيَتَصَبَّبُ العَرَقُ مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَصِلُ العَرَقُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ إِلَىٰ حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا. إِلَّا أَقْوَامًا سَيُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

رَيَّان: مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ المَحْظُوظُونَ يَا أَبِي؟

الأَبُ: هُمْ سَبْعَةُ أَصْنَافٍ ذَكَرَهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالشَّابُّ الَّذِي نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَالرَّجُلُ الَّذِي قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. هَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ فِي رَاحَةٍ وَأَمَانٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ.

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ سَيُحْيِي جَمِيعَ المَوْتَىٰ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ.
- **حَسَّان**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: البَعْثُ وَالنُّشُورُ سَيَكُونُ يَوْمًا عَظِيمًا وَصَعْبًا عَلَىٰ النَّاسِ.

- **رَزَان**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: أَعْمَالُنَا الصَّالِحَةُ سَتكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِنَا وَرَاحَتِنَا فِي ذَلِكَ اليَوْمِ.
- **رَيَّان**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَيُظِلُّ أَقْوَامًا بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيَا.
- **تَسْنِيم**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: الإِيمَانُ بِالبَعْثِ يَجْعَلُنَا نَحْرِصُ عَلَىٰ فِعْلِ الخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ اسْتِعْدَادًا لِذَلِكَ اليَوْمِ.

***

قصة: الشفاعة... رحمة في يوم عظيم

تَذْكُرُونَ يَا أَبْنَائِي كَيْفَ تَحَدَّثْنَا فِي القِصَصِ السَّابِقَةِ عَنْ يَوْمِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَكَيْفَ أَنَّ النَّاسَ سَيُجْمَعُونَ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ. هَذَا اليَوْمُ طَوِيلٌ وَشَدِيدٌ عَلَىٰ الجَمِيعِ، وَفِيهِ يَتَمَنَّىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَجِدَ مَنْ يُعِينُهُ وَيُسَاعِدُهُ. وَهُنَا تَتَجَلَّىٰ رَحْمَةُ اللهِ بِعِبَادِهِ فِي الشَّفَاعَةِ.

حَسَّان: وَهَلِ الشَّفَاعَةُ هِيَ أَنْ يَطْلُبَ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ آخَرَ شَيْئًا نِيَابَةً عَنْهُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: يَا حَسَّانُ! الشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ الوَاسِطَةُ فِي جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ لِلغَيْرِ. وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ، هِيَ أَنْ يَتَوَسَّطَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ وَالمُكَرَّمِينَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ لِيَشْفَعُوا لِغَيْرِهِمْ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ لَيْسَتْ لِأَيِّ أَحَدٍ، بَلْ لَهَا شُرُوطٌ وَضَوَابِطُ.

رَزَان: وَمَا هِيَ هَذِهِ الشُّرُوطُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ يَا رَزَانُ! **الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا شَرْطَانِ أَسَاسِيَّانِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِمَا:**

* **إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ**: فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِذَلِكَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

* **رِضَا اللهِ عَنِ المَشْفُوعِ لَهُ**: فَلَا يَشْفَعُ الشَّافِعُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمُ المُوَحِّدُونَ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

رَيَّان: وَمَا هِيَ أَنْوَاعُ الشَّفَاعَةِ؟

الأَبُ: الشَّفَاعَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ يَا رَيَّانُ، بَعْضُهَا خَاصٌّ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْضُهَا عَامٌّ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهَا غَيْرُهُ:

أَوَّلًا: الشَّفَاعَةُ الخَاصَّةُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هُنَاكَ أَنْوَاعٌ مِنَ الشَّفَاعَةِ لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ عِنْدَ اللهِ:

* **الشَّفَاعَةُ العُظْمَىٰ (المَقَامُ المَحْمُودُ)**: هَذِهِ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ. وَتَكُونُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ العَظِيمِ، عِنْدَمَا يَطُولُ الوُقُوفُ بِالنَّاسِ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ وَيَشْتَدُّ الكَرْبُ. يَطْلُبُ النَّاسُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ لِيَبْدَأَ الحِسَابُ، فَيَعْتَذِرُ كُلُّ نَبِيٍّ، حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا». فَيَذْهَبُ وَيَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، وَيَحْمَدُ اللهَ بِمَحَامِدَ لَمْ يُفْتَحْهَا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ اللهُ: "يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ". فَيَشْفَعُ لِجَمِيعِ الخَلَائِقِ (مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ) لِيُبْدَأَ الحِسَابُ وَيُفْصَلَ بَيْنَهُمْ.

* **الشَّفَاعَةُ فِي دُخُولِ أَقْوَامٍ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**: يَشْفَعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَقْوَامٍ مِنْ أُمَّتِهِ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ.

* **الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ بَعْضِ أَهْلِ الجَنَّةِ**: يَشْفَعُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ فِي أَنْ تَزْدَادَ دَرَجَاتُهُمْ.

ثَانِيًا: الشَّفَاعَةُ العَامَّةُ (لِلنَّبِيِّ وَغَيْرِهِ)

هَذِهِ شَفَاعَاتٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ الآخَرُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَالأَطْفَالُ الَّذِينَ مَاتُوا صِغَارًا، وَحُفَّاظُ القُرْآنِ، **وَلَكِنْ بِإِذْنِ اللهِ وَشُرُوطِهِ**:

* **الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ**: هَذِهِ شَفَاعَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرُهُ مِنَ الشَّافِعِينَ بِإِذْنِ اللهِ لِيَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُوا الجَنَّةَ.

* **الشَّفَاعَةُ فِي قَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ فَلَا يَدْخُلُونَهَا**: أَيْ قَوْمٍ كَانُوا سَيُعَاقَبُونَ بِالنَّارِ، فَيُشْفَعُ لَهُمْ فَلَا يَدْخُلُونَهَا أَصْلًا.

حَسَّان: يَا أَبِي، هَلْ نَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ المَوْتَىٰ؟

الأَبُ: هَذَا هُوَ مَرْبَطُ الفَرَسِ يَا بُنَيَّ! نَحْنُ نُؤْمِنُ بِالشَّفَاعَةِ وَأَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّنَا لَا نَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الأَمْوَاتِ أَوْ مِنَ المَخْلُوقِينَ مُبَاشَرَةً. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا مِلْكٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا تُعْطَىٰ لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرِضَاهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر: ٤٤].

فَإِذَا أَرَدْتَ الشَّفَاعَةَ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَطْلُبَهَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، بِأَنْ تَدْعُوَهُ وَتَقُولَ: "اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِينَا نَبِيَّكَ"، أَوْ "اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ". وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ الصَّالِحَاتِ وَتَتَبَّعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الشَّفَاعَةِ.

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا اليَوْمَ؟

- **حَسَّان**: الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ هِيَ وَاسِطَةٌ لِطَلَبِ المَنْفَعَةِ أَوْ دَفْعِ المَضَرَّةِ، وَهِيَ حَقٌّ ثَابِتٌ فِي دِينِنَا.
- **رَزَان**: الشَّفَاعَةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ: إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ وَرِضَاهُ عَنِ المَشْفُوعِ لَهُ.
- **رَيَّان**: أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ هِيَ الشَّفَاعَةُ العُظْمَىٰ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَبْدَأَ المُحَاسَبَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ.
- **تَسْنِيم**: وَهُنَاكَ شَفَاعَاتٌ أُخْرَىٰ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ، مِثْلُ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ. وَلَا نَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

***

حوض النبي صلى الله عليه وسلم مورد العطاشى يوم القيامة

أَحِبَّائِي الكِرَامَ، سَنَتَحَدَّثُ اليَوْمَ عَنْ نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَنْتَظِرُهَا المُؤْمِنُونَ فِي يَوْمِ الحِسَابِ العَسِيرِ، إِنَّهَا حَوْضُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هَذَا الحَوْضُ هُوَ مَوْرِدٌ عَذْبٌ وَزُلَالٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بَعْدَ شَدَائِدِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَتَهْيِئَةٌ لَهُمْ لِدُخُولِ الجَنَّةِ.

حَسَّان: وَمَا هُوَ الحَوْضُ يَا أَبِي؟ وَهَلْ هُوَ مَوْجُودٌ الآنَ؟

الأَبُ: الحَوْضُ يَا حَسَّانُ هُوَ مَجْمَعُ مَاءٍ عَظِيمٌ خَصَّهُ اللهُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَرِدَ عَلَيْهِ المُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّتِهِ لِيَشْرَبُوا. وَهُوَ مَوْجُودٌ بِالفِعْلِ الآنَ، لَكِنَّنَا لَا نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا، وَسَيُكْشَفُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ.

رَزَان: وَمَا فَائِدَةُ هَذَا الحَوْضِ؟ وَمَنِ الَّذِي سَيَشْرَبُ مِنْهُ؟

الأَبُ: فَائِدَتُهُ عَظِيمَةٌ جِدًّا يَا رَزَانُ! تَخَيَّلِي مَعِي أَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمٌ شَدِيدٌ، وَالنَّاسُ فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ وَعَطَشٍ شَدِيدٍ. فِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ، يَأْتِي المُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ إِلَىٰ حَوْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ. وَقَدْ وَعَدَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ "مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا".

وَلَكِنْ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ سَيَشْرَبُونَ مِنْهُ، بَلْ سَيَشْرَبُ مِنْهُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا، الَّذِينَ اتَّبَعُوا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِمْ وَلَمْ يُغَيِّرُوا أَوْ يُبَدِّلُوا فِي دِينِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَسَّان: وَهَلْ هُنَاكَ أَدِلَّةٌ عَلَىٰ وُجُودِ الحَوْضِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ! الإِيمَانُ بِالحَوْضِ مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الثَّابِتَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَدِلَّتُهُ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ:

١. أَدِلَّةُ الحَوْضِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ

* سُورَةُ الكَوْثَرِ: يَرَىٰ جُمْهُورُ العُلَمَاءِ أَنَّ الكَوْثَرَ هُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ فِي الجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [سورة الكوثر:١]. وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّهْرِ يُصَبُّ المَاءُ إِلَىٰ الحَوْضِ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ.

٢. أَدِلَّةُ وَوَصْفُ الحَوْضِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

لَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ وَصَحِيحَةٌ وَمُتَوَاتِرَةٌ تَصِفُ لَنَا الحَوْضَ وَتُؤَكِّدُ وُجُودَهُ، مِنْهَا:

* **وَصْفُ حَجْمِهِ وَمَسَاحَتِهِ:**

* قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا» (١).

* تَصَوَّرُوا يَا أَطْفَالُ، حَوْضٌ كَبِيرٌ جِدًّا، يَحْتَاجُ المُسَافِرُ لِشَهْرٍ كَيْ يَقْطَعَهُ! وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ سَعَتِهِ العَظِيمَةِ لِيَرْوِيَ كُلَّ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **وَصْفُ مَائِهِ وَرَائِحَتِهِ:**

* **أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ**: يَدُلُّ عَلَىٰ نَقَائِهِ وَطَهَارَتِهِ.

* **أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ**: يَدُلُّ عَلَىٰ رَائِحَتِهِ العَطِرَةِ.

* **آنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ**: يَعْنِي كُؤُوسَهُ الَّتِي يَشْرَبُ بِهَا النَّاسُ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَتَلْمَعُ مِثْلَ النُّجُومِ، وَهَذَا لِيَكْفِيَ العَدَدَ الكَبِيرَ مِنَ النَّاسِ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رَيَّان: أَبِي، سَمِعْتُ حَدِيثًا يَقُولُ إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيُطْرَدُونَ مِنَ الحَوْضِ. هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟

الأَبُ: سُؤَالُكَ مُهِمٌّ جِدًّا يَا رَيَّانُ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ حِرْصِكَ عَلَىٰ فَهْمِ الأُمُورِ. نَعَمْ، هَذَا الحَدِيثُ صَحِيحٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ، اخْتُلِجُوا دُونِي. فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» (١).

وَهَذَا الحَدِيثُ لَا يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ الكِرَامَ الَّذِينَ نَعْرِفُهُمْ، مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَبَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، حَاشَاهُمُ اللهُ! فَهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَصْحَابِ الشَّفَاعَةِ.

إِذَنْ، فَمَنْ هُمُ الَّذِينَ يُطْرَدُونَ عَنِ الحَوْضِ؟

العُلَمَاءُ وَضَّحُوا هَذَا المَعْنَىٰ بِدِقَّةٍ، فَقَالُوا إِنَّ كَلِمَةَ "أَصْحَابِي" فِي هَذَا الحَدِيثِ لَا تَعْنِي الصَّحَابَةَ الكِرَامَ، بَلْ تَعْنِي:

* **المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الإِسْلَامَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ**: هَؤُلَاءِ كَانُوا يَتَظَاهَرُونَ بِالصُّحْبَةِ، لَكِنْ قُلُوبُهُمْ كَانَتْ مَلِيئَةً بِالنِّفَاقِ.
* **المُرْتَدِّينَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلَامِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَؤُلَاءِ كَانُوا مُسْلِمِينَ فِي حَيَاتِهِ، لَكِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الحَوْضِ.
* **أَصْحَابَ البِدَعِ**: الَّذِينَ أَحْدَثُوا فِي الدِّينِ وَغَيَّرُوا وَبَدَّلُوا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مَا يُجْمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ، فَمَثَلًا، يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المُرَادُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ يُطْرَدُ، بَلْ مَنْ كَانَ فِي زَمَنِهِ، ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَهُ، وَلِهَذَا يَقُولُ: 'لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ'".

لِذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا الحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ أَيُّ طَعْنٍ فِي الصَّحَابَةِ الكِرَامِ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، بَلْ هُوَ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ لَنَا جَمِيعًا مِنَ الابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَالتَّغْيِيرِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

رَيَّان: هَذَا يَجْعَلُنِي حَرِيصًا جِدًّا عَلَىٰ اتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَشْرَبَ مِنْ حَوْضِهِ!

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا رَيَّانُ! هَذَا هُوَ الهَدَفُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ العَقِيدَةِ. **الإِيمَانُ بِالحَوْضِ يَدْفَعُنَا إِلَىٰ**:

- حُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ.
- الحَذَرِ مِنَ البِدَعِ وَالمَعَاصِي.
- اليَقِينِ بِأَنَّ اللهَ سَيُكْرِمُ أَوْلِيَاءَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ قِصَّةِ "حَوْضِ النَّبِيِّ... مَوْرِدِ العَطَاشَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ"؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَجْمَعُ مَاءٍ عَظِيمٌ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا.
- **حَسَّان**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الإِيمَانُ بِالحَوْضِ ثَابِتٌ بِالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

- رَزَان: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:** الَّذِينَ يُطْرَدُونَ عَنِ الحَوْضِ لَيْسُوا الصَّحَابَةَ الكِرَامَ، بَلْ هُمُ المُنَافِقُونَ وَالمُرْتَدُّونَ وَالمُبْتَدِعُونَ.
- رَيَّان: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:** يَجِبُ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَتَجَنَّبَ البِدَعَ لِنكُونَ مِنَ الوَارِدِينَ عَلَىٰ حَوْضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

***

صُحُفُ الأَعْمَالِ.. كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

أَحِبَّائِي الكِرَامَ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَكَيْفَ يَقِفُ النَّاسُ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ يَنْتَظِرُونَ الحِسَابَ، يَأْتِي مَشْهَدٌ عَظِيمٌ جِدًّا وَهُوَ عَرْضُ صُحُفِ الأَعْمَالِ.

حَسَّان: وَمَا هِيَ صُحُفُ الأَعْمَالِ يَا أَبِي؟ هَلْ هِيَ مِثْلُ كُتُبِنَا المَدْرَسِيَّةِ؟

الأَبُ: هِيَ كُتُبٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَكُتُبِنَا المَدْرَسِيَّةِ يَا حَسَّانُ. صُحُفُ الأَعْمَالِ هِيَ سِجِلَّاتٌ دَقِيقَةٌ جِدًّا، كَتَبَهَا المَلَائِكَةُ الكِرَامُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُسَجِّلُونَ كُلَّ مَا نَفْعَلُهُ وَنَقُولُهُ وَنَنْوِيهِ. لِكُلِّ إِنْسَانٍ صَحِيفَةُ عَمَلٍ خَاصَّةٌ بِهِ، لَا يُغَادِرُ فِيهَا شَيْئًا.

رَزَان: هَلْ يَكْتُبُونَ كُلَّ شَيْءٍ؟ حَتَّى لَوْ كَلِمَةً صَغِيرَةً؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ، كُلَّ شَيْءٍ! قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨]. المَلَائِكَةُ الكِرَامُ، وَهُمَا مَلَكَانِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، أَحَدُهُمَا عَنِ اليَمِينِ يَكْتُبُ الحَسَنَاتِ، وَالآخَرُ عَنِ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، **يُسَجِّلَانِ كُلَّ شَيْءٍ بِدِقَّةٍ عَظِيمَةٍ:**

- **الأَقْوَالُ:** كُلُّ كَلِمَةٍ نَطَقْتَ بِهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، ذِكْرًا لِلَّهِ، أَوْ غِيبَةً، نَمِيمَةً، كَذِبًا، أَوْ صِدْقًا وَخَيْرًا.
- **الأَفْعَالُ:** كُلُّ عَمَلٍ قُمْتَ بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ صَلَاةً، صَدَقَةً، إِحْسَانًا، أَوْ سَرِقَةً، ظُلْمًا، إِيذَاءً.

• **النِّيَّاتُ**: حَتَّىٰ مَا نَوَاهُ الإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَاللهُ يَعْلَمُهُ وَالمَلَائِكَةُ تُسَجِّلُهُ.

• **اللَّحَظَاتُ**: كُلُّ لَحْظَةٍ فِي حَيَاتِكَ، فِيمَا قَضَيْتَهَا، هَلْ فِي طَاعَةٍ أَمْ مَعْصِيَةٍ.

رَيَّان: وَكَيْفَ سَنَسْتَلِمُ هَذِهِ الصُّحُفَ؟

الأَبُ: فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، بَعْدَ أَنْ يَطُولَ الوُقُوفُ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ، سَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَةَ عَمَلِهِ.

* **أَهْلُ اليَمِينِ**: المُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ، الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، سَيَتَسَلَّمُونَ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ (بِيَدِهِمُ اليُمْنَىٰ). وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ فَوْزِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ. سَيَفْرَحُونَ بِهَا فَرَحًا عَظِيمًا، وَسَيُنَادُونَ عَلَىٰ النَّاسِ بِفَخْرٍ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحاقة:١٩-٢٠]. وَسَيَكُونُونَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ.

* **أَهْلُ الشِّمَالِ**: أَمَّا الكُفَّارُ فَسَيُعْطَوْنَ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ بِشَمَائِلِهِمْ وَمِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ خُسْرَانِهِمْ وَنَدَمِهِمْ. سَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ لَمْ يُعْطَوْا كِتَابَهُمْ، وَسَيَنْدَمُونَ نَدَمًا شَدِيدًا عَلَىٰ مَا فَرَّطُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٥-٢٧].

حَسَّان: وَهَلْ سَنَفْهَمُ كُلَّ مَا فِيهَا؟

الأَبُ: نَعَمْ، سَتُعْرَضُ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ كُلُّهَا، وَسَتَتَذَكَّرُهَا كَأَنَّهَا حَدَثَتِ الآنَ. لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يُنْكِرَ شَيْئًا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسَجَّلٌ بِدِقَّةٍ، وَحَتَّىٰ أَعْضَاءُ الجِسْمِ سَتَشْهَدُ. وَهَذَا هُوَ العَدْلُ الإِلَهِيُّ المُطْلَقُ، فَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

رَزَان: هَذَا يَجْعَلُنِي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ اليَمِينِ!

الأَبُ: وَهَذَا هُوَ الهَدَفُ يَا بُنَيَّتِي! أَنْ نَعْمَلَ فِي دُنْيَانَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وَنَحْرِصَ عَلَىٰ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَنَجْعَلَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، حَتَّىٰ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ اليَمِينِ وَنَفْرَحَ بِصَحَائِفِ أَعْمَالِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَالآنَ، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا اليَوْمَ عَنْ صُحُفِ الأَعْمَالِ؟

- **حَسَّان**: صُحُفُ الأَعْمَالِ هِيَ سِجِلَّاتٌ دَقِيقَةٌ تُسَجِّلُ كُلَّ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَنِيَّاتِنَا فِي الدُّنْيَا.
- **رَزَان**: المَلَائِكَةُ الكِرَامُ هُمْ مَنْ يَكْتُبُونَ هَذِهِ الأَعْمَالَ، وَلَا يُغَادِرُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً.
- **رَيَّان**: المُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ يَتَسَلَّمُونَ صُحُفَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَالكُفَّارُ بِشَمَائِلِهِمْ وَمِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ.
- **الأَبُ**: عَلَيْنَا أَنْ نُرَاقِبَ أَنْفُسَنَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَنَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ الخَيْرَاتِ وَاجْتِنَابِ السَّيِّئَاتِ، حَتَّىٰ تَكُونَ صَحَائِفُ أَعْمَالِنَا مَلِيئَةً بِالحَسَنَاتِ.

- **تَسْنِيم:** هَذَا الْمَشْهَدُ يُذَكِّرُنَا بِعَدْلِ اللهِ الْمُطْلَقِ، وَأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.

***

الحساب والميزان

أَحِبَّائِي الكِرَامَ، فِي القِصَّةِ السَّابِقَةِ، تَعَلَّمْنَا أَنَّ اللهَ سَيُحْيِي جَمِيعَ المَوْتَىٰ وَيَجْمَعُهُمْ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، سَيَبْدَأُ أَمْرٌ عَظِيمٌ جِدًّا، هُوَ الحِسَابُ وَالمِيزَانُ.

حَسَّان: وَمَاذَا يَعْنِي الحِسَابُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: الحِسَابُ يَا حَسَّانُ هُوَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ كُلُّ مَا فَعَلَهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ. لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ شَيْءٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

رَزَان: وَهَلْ سَيَتَكَلَّمُ اللهُ مَعَنَا مُبَاشَرَةً؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَزَانُ! سَيُكَلِّمُ اللهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مُبَاشَرَةً، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ. سَيَسْأَلُهُ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ. وَسَيَشْهَدُ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ: أَيْدِينَا، أَرْجُلُنَا، حَتَّىٰ جُلُودُنَا!

رَيَّان: وَمَاذَا عَنِ المِيزَانِ؟

الأَبُ: بَعْدَ الحِسَابِ، يَأْتِي دَوْرُ المِيزَانِ. وَالمِيزَانُ هُوَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ كَفَّتَانِ، وَهُوَ عَظِيمٌ جِدًّا، سَتُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ العِبَادِ. تُوضَعُ الحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَّةٍ أُخْرَىٰ.

أَدِلَّةٌ عَلَى الحِسَابِ وَالمِيزَانِ

حَسَّان: وَهَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ وُجُودِ هَذَا المِيزَانِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ! الإِيمَانُ بِالمِيزَانِ هُوَ مِنْ عَقَائِدِنَا الثَّابِتَةِ، وَقَدْ جَاءَتِ الأَدِلَّةُ عَلَيْهِ وَاضِحَةً فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ:

* **أَدِلَّةٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ:**

* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]. هَذِهِ الآيَةُ تُؤَكِّدُ أَنَّ المِيزَانَ حَقٌّ، وَأَنَّ عَدْلَ اللهِ مُطْلَقٌ.

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [سورة القارعة:٦-٧].

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [سورة القارعة:٨-٩].

* **أَدِلَّةٌ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ:**

* لَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِيزَانَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَمِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي تَصِفُ ذَلِكَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ:

يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

* **فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ هَذِهِ الكَلِمَةِ.**

أَعْمَالٌ تُثَقِّلُ المِيزَانَ

رَزَان: يَا أَبِي، مَا هِيَ الأَشْيَاءُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَهَا لِتُثْقِلَ مَوَازِينَنَا؟

الأَبُ: سُؤَالٌ جَمِيلٌ جِدًّا يَا رَزَانُ! هُنَاكَ أَعْمَالٌ بَسِيطَةٌ لَكِنَّهَا عَظِيمَةٌ جِدًّا عِنْدَ اللهِ، وَتُثْقِلُ كِفَّةَ الحَسَنَاتِ:

* **كَلِمَاتٌ خَفِيفَةٌ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَةٌ فِي المِيزَانِ:** قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ» (١).

* **تَقْوَىٰ اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ:** قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العَبْدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ» (٢). وَسُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَىٰ اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ» (٣). وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيمِ فَضْلِ الأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

تَسْنِيم: يَعْنِي كُلَّ عَمَلٍ نَفْعَلُهُ سَيُسَجَّلُ وَيُوزَنُ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَيَّانُ! لِذَلِكَ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَىٰ كُلِّ عَمَلٍ نَفْعَلُهُ، وَكُلِّ كَلِمَةٍ نَقُولُهَا. فَالحَسَنَةُ الصَّغِيرَةُ قَدْ تَكُونُ ثَقِيلَةً فِي المِيزَانِ، وَالسَّيِّئَةُ الصَّغِيرَةُ قَدْ تُثْقِلُ كِفَّةَ الشَّرِّ. لِنَحْرِصْ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الوَالِدَيْنِ، وَمُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ، وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ. كُلُّ هَذَا يَزِيدُ حَسَنَاتِنَا.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ قِصَّةِ الحِسَابِ وَالمِيزَانِ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: بَعْدَ البَعْثِ، سَيُحَاسِبُ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.
- **حَسَّان**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: المِيزَانُ حَقٌّ، وَفِيهِ تُوزَنُ الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ.
- **رَزَان**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: هُنَاكَ أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ، مِثْلُ قَوْلِ "سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"، لَهَا وَزْنٌ عَظِيمٌ فِي المِيزَانِ.
- **رَيَّان**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: أَفْضَلُ مَا يُثْقِلُ مِيزَانَ العَبْدِ هُوَ تَقْوَىٰ اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ.
- **تَسْنِيم**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: الإِيمَانُ بِالحِسَابِ وَالمِيزَانِ يَجْعَلُنَا نَحْرِصُ عَلَىٰ فِعْلِ الخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ لِتَثْقُلَ مَوَازِينُنَا.

***

قصة: الرؤية والشفاعة والصراط ورحمة الله الواسعة

يَا أَحِبَّائِي الكِرَامَ، هَذِهِ قِصَّةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، يَرْوِيهَا لَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُظْهِرُ لَنَا عَظَمَةَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ الَّتِي لَا تُضَاهَىٰ، وَكَيْفَ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يُكْرَمُونَ بِرُؤْيَةِ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

حَسَّان: يَا أَبِي! هَلْ سَنَرَىٰ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَهِيَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ وَأَجْمَلُ كَرَامَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. رَوَىٰ البُخَارِيُّ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

وَمَعْنَىٰ "لَا تُضَامُّونَ":

بِتَشْدِيدِ المِيمِ: أَيْ لَا تَزْدَحِمُونَ لِرُؤْيَتِهِ. وَبِالتَّخْفِيفِ: لَا يَحْصُلُ لَكُمْ ظُلْمٌ فَلَا يَرَاهُ البَعْضُ دُونَ غَيْرِهِمْ.

وَاسْمَعُوا أَبْنَائِي إِلَىٰ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا سَيَحْصُلُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ: رَوَىٰ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا

رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ اليَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ

رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ. فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا.» - وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة النساء: ٤٠]. - "فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ." فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ.

رَزَان: وَهَلْ سَيَعْرِفُ المُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَيْحَانَةُ. يَأْتِي اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فِي صُورَةٍ، فَيَسْأَلُهُمْ: "مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟" فَيُجِيبُ المُؤْمِنُونَ: "فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ". فَيَقُولُ لَهُمْ: "أَنَا رَبُّكُمْ". وَلَكِنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ، حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُمْ: "هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟" فَيَقُولُونَ: "نَعَمْ".

مَرْجَانَة: وَمَا هِيَ هَذِهِ الآيَةُ؟

الأَبُ: يُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَيَسْجُدُ لِلَّهِ كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لَهُ فِي الدُّنْيَا طَوَاعِيَةً وَإِخْلَاصًا. أَمَّا مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَنِفَاقًا، فَيُصْبِحُ ظَهْرُهُ قِطْعَةً وَاحِدَةً، وَكُلَّمَا أَرَادَ السُّجُودَ، يَسْقُطُ عَلَىٰ قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ رُؤُوسَهُمْ، فَيَرَوْنَ اللهَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا، فَيَقُولُونَ: "أَنْتَ رَبُّنَا".

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

وَالآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الفَوَائِدِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ العَظِيمَةِ؟

- **حَسَّان**: أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ هِيَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ.
- **رَزَان**: وَفَهِمْتُ أَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَمَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً لَمْ يَسْتَطِعِ السُّجُودَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَنْ تَهَاوَنَ عَنْ صَلَاتِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ السُّجُودَ يَوْمَ القِيَامَةِ.
- **رَيَّان**: وَعَلِمْتُ أَنَّ شَفَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي الآخِرَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَأَنَّ اللهَ يُكْرِمُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِهَذَا الفَضْلِ.
- **تَسْنِيم**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ جِدًّا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **حَسَّان**: أَنَا أَرَىٰ أَنَّ القِصَّةَ تُعَلِّمُنَا أَهَمِّيَّةَ الإِيمَانِ الصَّادِقِ، فَهُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ الْمُؤْمِنَ عَنِ الْمُنَافِقِ.
- **رَزَان**: وَأَنَّ الجَنَّةَ غَالِيَةٌ، وَأَنَّ طَرِيقَهَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ثَبَاتٍ وَصَبْرٍ، لِأَنَّ الصِّرَاطَ فَوْقَ جَهَنَّمَ.

- **رَيَّان**: وَعَلِمْتُ أَنَّ رِضَا اللهِ هُوَ الهَدَفُ الأَسْمَىٰ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، وَأَنَّ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ نَعِيمٍ هُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّ العَالَمِينَ.
- **تَسْنِيم**: وَأَنَا فَهِمْتُ أَنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ، وَأَنَّهُ يُجَازِي عَلَىٰ أَدْنَىٰ خَيْرٍ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.
- **الأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي. هَذِهِ القِصَّةُ تَزِيدُنَا حُبًّا فِي اللهِ وَخَوْفًا مِنْهُ فِي آنٍ وَاحِدٍ. حُبًّا فِي رَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ. فَلْنَعْمَلْ بِجِدٍّ لِنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ رُؤْيَةَ اللهِ وَرِضَاهُ.

***

قصة: أهوال الصراط المستقيم

أَبْنَائِي الفُضَلَاءَ، اليَوْمَ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ مَشْهَدٍ عَظِيمٍ جِدًّا سَيَرَاهُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ اليَوْمِ، إِنَّهُ الصِّرَاطُ.

وَهُوَ جِسْرٌ يُمَدُّ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ (فَوْقَ نَارِ جَهَنَّمَ). وَهُوَ الطَّرِيقُ الوَحِيدُ إِلَىٰ الجَنَّةِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا فِي القِصَّةِ السَّابِقَةِ، وَأَنَّهُ:

* **أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**: هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ صُعُوبَةِ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَّا لِمَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ نَقُولُ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة:٦].؟ فَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الإِسْلَامُ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَىٰ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ أَنْ مَاتَ، ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَهُوَ الجِسْرُ المَمْدُودُ عَلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ.

حَسَّان: زِدْنَا يَا أَبِي مِنَ القَصَصِ عَنْ مَا يَكُونُ عِنْدَ الصِّرَاطِ.

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا حَسَّانُ! الصِّرَاطُ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ وَحَسَكَةٌ: أَيْ يُوجَدُ عَلَىٰ جَوَانِبِهِ خَطَاطِيفُ كَبِيرَةٌ، تُشْبِهُ الشَّوْكَ العَظِيمَ، مُهِمَّتُهَا أَنْ تَخْطَفَ النَّاسَ وَتُلْقِيَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. هَذِهِ الخَطَاطِيفُ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللهُ.

وَسَيَكُونُ الظَّلَامُ شَدِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالصِّرَاطُ نَفْسُهُ مُظْلِمٌ.

رَيَّان: مَاذَا يَحْصُلُ عِنْدَ الصِّرَاطِ؟ مِنْ أَحْدَاثٍ يَا أَبِي.

الأَبُ: فِي ذَلِكَ الظَّلَامِ الدَّامِسِ، سَيُعْطَىٰ الْمُؤْمِنُونَ نُورًا يُضِيءُ لَهُمْ طَرِيقَهُمْ عَلَىٰ الصِّرَاطِ. قُوَّةُ هَذَا النُّورِ تَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا. فَبَعْضُهُمْ يَكُونُ نُورُهُ كَبِيرًا كَالشَّمْسِ، وَبَعْضُهُمْ كَالنَّخْلَةِ، وَبَعْضُهُمْ كَإِصْبَعِ الرَّجُلِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً.

قَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد:١٢].

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ وَيُبْطِنُونَ الكُفْرَ، فَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ نُورٌ. بَلْ يَذْهَبُونَ فِي الظَّلَامِ، وَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَ نُورِهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد:١٣].

فِي النِّهَايَةِ، يَسْقُطُ الْمُنَافِقُونَ فِي النَّارِ.

وَهُنَا يَا أَبْنَائِي، يَحْدُثُ مَشْهَدٌ آخَرُ عَظِيمٌ. لَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ العَظِيمِ، تُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ عَلَىٰ جَانِبَيِ الصِّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا. فَكُلَّمَا مَرَّ أَحَدٌ، نَظَرَتَا فِي أَمْرِهِ، فَمَنْ كَانَ مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ،

سَهُلَ عَلَيْهِ العُبُورُ، وَمَرَّ بِسَلَامٍ، وَشَهِدَتَا لَهُ. أَمَّا مَنْ خَانَ الأَمَانَةَ وَقَطَعَ رَحِمَهُ، كَانَتَا سَبَبًا فِي عُسْرَةِ مُرُورِهِ أَوْ سُقُوطِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيمِ قَدْرِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ عِنْدَ اللهِ، فَهُمَا مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ بِسُرُعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ جِدًّا، وَهَذَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا:

- بَعْضُهُمْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ (بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ جِدًّا).
- وَبَعْضُهُمْ كَالرِّيحِ.
- وَبَعْضُهُمْ كَالخَيْلِ المُضْمَرَةِ (الخُيُولِ السَّرِيعَةِ).
- وَبَعْضُهُمْ كَشَدِّ الرَّجُلِ (يَجْرِي بِسُرْعَةٍ).
- وَبَعْضُهُمْ يَمْشِي مَشْيًا.
- وَبَعْضُهُمْ يَزْحَفُ زَحْفًا عَلَىٰ بَطْنِهِ.
- وَبَعْضُهُمْ يُخْطَفُ وَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ الَّتِي لَمْ تُغْفَرْ.

وَهُنَا يَكُونُ دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عِنْدَ الصِّرَاطِ، يَقِفُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لِأُمَّتِهِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» «اللَّهُمَّ نَجِّ، نَجِّ». وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ.

رَيَّان: هَذَا مُخِيفٌ جِدًّا يَا أَبِي! كَيْفَ نَنْجُو مِنَ السُّقُوطِ؟

الأَبُ: سُؤَالٌ مُهِمٌّ جِدًّا يَا رَيَّانُ! النَّجَاةُ تَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَحْمَتِهِ، ثُمَّ بِالاجْتِهَادِ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا. كُلَّمَا كَانَ إِيمَانُنَا أَقْوَىٰ، وَطَاعَتُنَا أَكْثَرَ، وَابْتِعَادُنَا عَنِ المَعَاصِي أَشَدَّ، كُلَّمَا زَادَ نُورُنَا وَزَادَتْ سُرْعَتُنَا فِي العُبُورِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

وَالآنَ يَا أَحِبَّائِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا عَنِ الصِّرَاطِ وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ؟

- **الفَائِدَةُ الأُولَىٰ**: الصِّرَاطُ جِسْرٌ يُمَدُّ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، لِلْمُرُورِ فَوْقَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ الجَنَّةِ.
- **حَسَّان**: **الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الصِّرَاطُ دَقِيقٌ وَحَادٌّ، وَعَلَيْهِ خَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ العُصَاةَ وَتُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ.
- **رَزَان**: **الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: المُؤْمِنُونَ يَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ بِنُورٍ عَلَىٰ قَدْرِ إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، بَيْنَمَا المُنَافِقُونَ لَا نُورَ لَهُمْ وَيَسْقُطُونَ.
- **رَيَّان**: **الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: سُرْعَةُ مُرُورِ النَّاسِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ تَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، مِنَ البَرْقِ إِلَىٰ الزَّحْفِ.
- **تَسْنِيم**: **الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ**: الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ تَقُومَانِ عَلَىٰ جَانِبَيِ الصِّرَاطِ وَتَشْهَدَانِ لِلنَّاسِ بِأَدَائِهِمَا لِحَقِّهِمَا أَوْ بِقَطْعِهِمْ لَهُمَا.

- **الأَبُ**: **الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ**: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ عِنْدَ الصِّرَاطِ وَيَدْعُو لِأُمَّتِهِ: "اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ"، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ شَفَقَتِهِ وَعِظَمِ قَدْرِهِ.
- **حَسَّان**: **الفَائِدَةُ السَّابِعَةُ**: لِلتَّشَبُّثِ بِالصِّرَاطِ وَالنَّجَاةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَثْبُتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ، وَنَحْرِصَ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَنُؤَدِّيَ الأَمَانَاتِ، وَنَصِلَ أَرْحَامَنَا، وَنَتَجَنَّبَ المَعَاصِيَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ نَتَمَسَّكَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ فَهْمِ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ.

***

قصة: النَّارُ.. دَارُ الشَّقَاءِ وَالبَوَارِ

أَحِبَّائِي الأَبْطَالَ، نَتَحَدَّثُ اليَوْمَ عَنِ المَكَانِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَهُوَ نَقِيضُ الجَنَّةِ تَمَامًا. إِنَّهُ النَّارُ، دَارُ الشَّقَاءِ وَالعَذَابِ الأَبَدِيِّ، أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا.

حَسَّان: وَهَلِ النَّارُ مَوْجُودَةٌ الآنَ يَا أَبِي؟ وَهَلْ هِيَ مُخِيفَةٌ حَقًّا؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا حَسَّانُ، النَّارُ مَوْجُودَةٌ الآنَ، وَقَدْ رَآهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ. وَهِيَ مُخِيفَةٌ جِدًّا جِدًّا، وَلَا يُمْكِنُ لِعَقْلِ بَشَرٍ أَنْ يَتَخَيَّلَ شِدَّةَ عَذَابِهَا. لَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَوَصَفَهَا لَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ نَخَافَهَا وَنَجْتَنِبَ الأَعْمَالَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهَا.

رَزَان: كَيْفَ شَكْلُ النَّارِ يَا أَبِي؟ هَلْ هِيَ مُجَرَّدُ نَارٍ نُشْعِلُهَا فِي الدُّنْيَا؟

الأَبُ: لَا يَا رَزَانُ، نَارُ الدُّنْيَا لَا تُقَارَنُ بِنَارِ الآخِرَةِ أَبَدًا. لَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فَتَخَيَّلُوا! نَارُ الدُّنْيَا مَهْمَا كَانَتْ شِدَّتُهَا هِيَ جُزْءٌ وَاحِدٌ فَقَطْ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ.

* **حَرَارَتُهَا لَا تُطَاقُ**: إِنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ وَمُوقَدَةٌ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم:٦].

* **ظَلَامُهَا وَعُمْقُهَا**: إِنَّهَا مُظْلِمَةٌ وَمُخِيفَةٌ، عَمِيقَةٌ جِدًّا، يُلْقَىٰ فِيهَا الحَجَرُ مِنْ شَفِيرِهَا (طَرَفِهَا) فَلَا يَصِلُ إِلَىٰ قَاعِهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً.

* **طَعَامُ وَشَرَابُ أَهْلِهَا**: طَعَامُ أَهْلِ النَّارِ هُوَ الزَّقُّومُ، وَهِيَ شَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ الجَحِيمِ، ثَمَرُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، إِذَا أَكَلُوهُ يَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ كَغَلْيِ الحَمِيمِ (المَاءِ شَدِيدِ الغَلَيَانِ). وَشَرَابُهُمْ هُوَ الصَّدِيدُ (القَيْحُ وَالدَّمُ) الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَجْسَامِ أَهْلِ النَّارِ، وَالحَمِيمُ (المَاءُ السَّاخِنُ جِدًّا) الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَهُمْ.

رَيَّان: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا مُرْعِبٌ جِدًّا!

الأَبُ: نَعَمْ يَا رَيَّانُ، إِنَّهُ كَذَلِكَ. وَهَذَا الوَصْفُ لَيْسَ لِتَخْوِيفِنَا فَقَطْ، بَلْ لِنَعْمَلَ جَاهِدِينَ عَلَىٰ اجْتِنَابِهَا.

وَأَهْلُ النَّارِ يَعِيشُونَ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ، لَا يَمُوتُونَ فَيَسْتَرِيحُوا، وَلَا يَحْيَوْنَ حَيَاةً طَيِّبَةً.

* **وُجُوهُهُمْ سَوْدَاءُ**: يُسْحَبُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ.

* **لِبَاسُهُمْ مِنْ نَارٍ**: ثِيَابُهُمْ مِنَ القَطِرَانِ (مَادَّةٍ شَدِيدَةِ الاشْتِعَالِ).

* **جُلُودُهُمْ تَتَجَدَّدُ**: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ وَاحْتَرَقَتْ، أَبْدَلَهُمُ اللهُ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ مَرَّةً أُخْرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [سورة النساء:٥٦].

حَسَّان: أَبِي، هَلْ مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا؟

الأَبُ: سُؤَالٌ جَمِيلٌ جِدًّا يَا وَلَدِي. بِالنِّسْبَةِ لِلْخُلُودِ فِيهَا يَكُونُ: لِلْكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُنَافِقِينَ نِفَاقًا أَكْبَرَ، وَهُمْ مَنْ يُظْهِرُونَ الإِسْلَامَ وَيُبْطِنُونَ الكُفْرَ، هَؤُلَاءِ يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ أَبَدَ الآبِدِينَ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

أَمَّا عُصَاةُ المُوَحِّدِينَ (المُسْلِمُونَ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا ذُنُوبًا كَبِيرَةً وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْهَا) فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِرَحْمَةِ اللهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ.

رَيَّان: وَمَاذَا يَحْدُثُ لِأَهْلِ النَّارِ يَا أَبِي؟ هَلْ يَمُوتُونَ؟

الأَبُ: لَا يَا رَيَّانُ، بَلْ يَتَمَنَّوْنَ المَوْتَ فَلَا يُجَابُونَ، وَيَطْلُبُونَ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ أَنْ يَطْلُبُوا لَهُمْ تَخْفِيفًا مِنَ العَذَابِ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ.

رَزَان: مَا هِيَ الأَعْمَالُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى النَّارِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا رَزَانُ! سُؤَالٌ رَائِعٌ وَمُفِيدٌ. لِدُخُولِ النَّارِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ، مُعْظَمُهَا يَتَعَلَّقُ بِالبُعْدِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَارْتِكَابِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ. **فَمِنْ أَخْطَرِ هَذِهِ الأَعْمَالِ**:

- **الشِّرْكُ بِاللهِ**: وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ أَوْ تَجْعَلَ لَهُ شَرِيكًا. هَذَا هُوَ الذَّنْبُ الوَحِيدُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ أَبَدًا إِذَا مَاتَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ.
- **الكُفْرُ وَالإِلْحَادُ**: عَدَمُ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ.
- **النِّفَاقُ**: إِظْهَارُ الإِيمَانِ وَإِبْطَانُ الكُفْرِ.
- **تَرْكُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ**: وَعَدَمُ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا.
- **أَكْلُ الرِّبَا**: وَالتَّعَامُلُ بِهِ.
- **أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلْمًا**.
- **الزِّنَا وَاللِّوَاطُ**.
- **شُرْبُ الخَمْرِ وَالمُخَدِّرَاتِ**.
- **عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**: وَإِيذَاؤُهُمَا.
- **القَتْلُ بِغَيْرِ حَقٍّ**.
- **الظُّلْمُ بِأَشْكَالِهِ**: سَوَاءٌ ظُلْمُ النَّاسِ أَوِ الحَيَوَانَاتِ.
- **الكَذِبُ، الغِيبَةُ، النَّمِيمَةُ، وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ**.
- **التَّكَبُّرُ وَالغُرُورُ**: وَعَدَمُ التَّوَاضُعِ.

تَسْنِيم: يَا أَبِي، كَيْفَ نَنْجُو مِنَ النَّارِ؟

الأَبُ: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ تَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، ثُمَّ بِالاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَالبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُهُ. يَجِبُ أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الجَنَّةِ، وَنَتُوبَ مِنْ

ذُنُوبِنَا تَوْبَةً نَصُوحًا، وَنَطْلُبَ مِنَ اللهِ دَائِمًا أَنْ يَقِيَنَا عَذَابَ النَّارِ. الدُّعَاءُ الدَّائِمُ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ".

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

وَالآنَ يَا أَوْلَادِي، مَا هِيَ أَهَمُّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا اليَوْمَ عَنِ النَّارِ؟

- **حَسَّان**: النَّارُ دَارُ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَمُخِيفٍ، وَحَرَارَتُهَا أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا.
- **رَزَان**: طَعَامُ أَهْلِ النَّارِ هُوَ الزَّقُّومُ، وَشَرَابُهُمُ الصَّدِيدُ وَالحَمِيمُ، وَعَذَابُهُمْ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ.
- **رَيَّان**: الكُفَّارُ يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، أَمَّا المُسْلِمُونَ العُصَاةُ فَيُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا بَعْدَ تَطْهِيرِهِمْ.
- **تَسْنِيم**: أَعْظَمُ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ هِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ وَالكُفْرُ، وَتَرْكُ الفَرَائِضِ، وَارْتِكَابُ الكَبَائِرِ وَالمَعَاصِي.
- **حَسَّان**: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ تَكُونُ بِطَاعَةِ اللهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ وَالدُّعَاءِ الدَّائِمِ.

***

قصة: القنطرة.. آخر محطة قبل الجنة

يَا أَبْطَالُ! بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنِ الصِّرَاطِ وَعَظَمَتِهِ، هَيَّا بِنَا نَقْتَرِبْ أَكْثَرَ مِنْ مَشْهَدٍ آخَرَ عَظِيمٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ القِيَامَةِ، إِنَّهُ مَشْهَدُ القِصَاصِ بَيْنَ النَّاسِ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَكُونَ المُؤْمِنُونَ أَنْقِيَاءَ طَاهِرِينَ.

حَسَّان: أَبِي! سَمِعْتُ أَنَّ المَظَالِمَ تُرَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهَلْ هَذَا يَحْصُلُ قَبْلَ القَنْطَرَةِ أَمْ بَعْدَهَا؟

الأَبُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، سُؤَالٌ مُهِمٌّ. القِصَاصُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ فِي مَوْضِعَيْنِ:

- **الأَوَّلُ**: قَبْلَ الصِّرَاطِ.
- **الثَّانِي**: بَعْدَ الصِّرَاطِ، عَلَىٰ القَنْطَرَةِ.

رَيَّان: وَكَيْفَ يَكُونُ القِصَاصُ قَبْلَ الصِّرَاطِ يَا أَبِي؟

الأَبُ: يَكُونُ بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ...» (١).

أَيْ أَنَّ مَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ، يَأْخُذُ المَظْلُومُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ المَظْلُومِ فَطُرِحَتْ عَلَىٰ الظَّالِمِ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ "المُفْلِسِ": «إِنَّهُ مَنْ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَعَهُ صَلَاةٌ وَصِيَامٌ وَزَكَاةٌ، لَكِنَّهُ شَتَمَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، فَيَأْخُذُ هَؤُلَاءِ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّىٰ تُفْنَىٰ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ»[(١)].

رَزَان: إِذَنْ الظَّالِمُ قَدْ يُطْرَحُ فِي النَّارِ بِسَبَبِ المَظَالِمِ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا ابْنَتِي، وَلِهَذَا كَانَ خَطَرُ الظُّلْمِ عَظِيمًا جِدًّا.

تَسْنِيم: وَمَا دَوْرُ القَنْطَرَةِ إِذَنْ؟

الأَبُ: أَحْسَنْتِ، القَنْطَرَةُ تَأْتِي بَعْدَ الصِّرَاطِ. المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ النَّارِ يُوقَفُونَ هُنَاكَ لِتَصْفِيَةِ مَا تَبَقَّىٰ فِي النُّفُوسِ مِنْ حِقْدٍ أَوْ غِلٍّ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ»[(٢)].

حَسَّان: وَكَيْفَ يَكُونُ القِصَاصُ عَلَىٰ القَنْطَرَةِ؟ هَلْ هُوَ مِثْلُ الأَوَّلِ؟

الأَبُ: لَا، هَذَا القِصَاصُ يَخْتَلِفُ. الأَوَّلُ يَكُونُ بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَقَدْ يُطْرَحُ الظَّالِمُ فِي النَّارِ. أَمَّا قِصَاصُ القَنْطَرَةِ فَلَيْسَ لِلْعُقُوبَةِ، بَلْ لِلتَّطْهِيرِ. إِنَّهُ قِصَاصٌ خَاصٌّ لِإِزَالَةِ مَا بَقِيَ فِي النُّفُوسِ مِنْ غِلٍّ أَوْ ضَغِينَةٍ، حَتَّىٰ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَقُلُوبُهُمْ نَقِيَّةٌ تَمَامًا.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

رَيَّان: وَكَيْفَ يَتِمُّ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الأَبُ: لِلْعُلَمَاءِ أَقْوَالٌ فِي ذَلِكَ يَا بُنَيَّ:

- مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَأْخُذُ المَظْلُومُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اللهُ يُعَوِّضُ المَظْلُومَ خَيْرًا وَيَعْفُو عَنِ الظَّالِمِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اللهُ يُرْضِي المَظْلُومَ وَيَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ العَفْوَ.

وَالحِكْمَةُ أَنَّ الجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ كَرَاهِيَةٌ لِأَخِيهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر:٤٧].

رَزَان: سُبْحَانَ اللهِ! حَتَّىٰ القُلُوبُ تُنَقَّىٰ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ.

الأَبُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّتِي. قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِصَاصُ القَنْطَرَةِ بِمَنْزِلَةِ التَّنْقِيَةِ وَالتَّطْهِيرِ، لِأَنَّ مَا فِي القُلُوبِ لَا يَزُولُ بِمُجَرَّدِ القِصَاصِ الأَوَّلِ.

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

وَالآنَ يَا أَبْنَائِي، مَاذَا نَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ العَظِيمَةِ؟

- **حَسَّان**: **خُطُورَةُ الظُّلْمِ**: المَظَالِمُ لَا تَضِيعُ عِنْدَ اللهِ، بَلْ تُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ.
- **رَزَان**: **المُسَارَعَةُ إِلَىٰ العَفْوِ**: مِنَ الأَفْضَلِ رَدُّ المَظَالِمِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا مَتَاعٌ.

- **رَيَّان: طَهَارَةُ القَلْبِ شَرْطٌ لِلْجَنَّةِ:** القَنْطَرَةُ مَحَطَّةٌ لِإِزَالَةِ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الغِلِّ وَالحِقْدِ.
- **تَسْنِيم: رَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ:** لَمْ يَجْعَلِ التَّطْهِيرَ فِي النَّارِ، بَلْ عَلَىٰ القَنْطَرَةِ، لِيَكُونَ نَعِيمًا بَعْدَهُ الدُّخُولُ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ.

وهذا بِشَارَةٌ لِلْمَظْلُومِ: حَقُّكَ مَحْفُوظٌ عِنْدَ اللهِ، فَكُنْ وَاثِقًا بِعَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ.

***

قصة: مِنَ القَنْطَرَةِ إِلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ

أَبْنَائِي الفُضَلَاءَ... بَعْدَمَا نَجَا المُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْوَالٍ عَظِيمَةٍ: مِنْ فِتَنِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَأَهْوَالِ المَحْشَرِ، وَحَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالمِيزَانِ، وَالصِّرَاطِ... ثُمَّ القَنْطَرَةِ حَيْثُ صُفِّيَتْ قُلُوبُهُمْ وَنُقُّوا مِنْ كُلِّ غِلٍّ وَحِقْدٍ...

هُنَا... تَنْتَهِي رِحْلَةُ التَّعَبِ.

لَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الفَرَحِ!

لَقَدْ آنَ الأَوَانُ لِلسَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ.

بَقِيَتْ لَحَظَاتُ التَّقَدُّمِ إِلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

كَأَنِّي بِهِمْ: قُلُوبُهُمْ تَخْفِقُ... عُيُونُهُمْ تَدْمَعُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ... لَقَدِ اقْتَرَبَ المَوْعِدُ!

لَحَظَاتٌ عَظِيمَةٌ الفَرَحُ يَعْلُو الوُجُوهَ.

السَّعَادَةُ تَغْمُرُ الكُلَّ.

الجَمِيعُ يَتَّجِهُونَ إِلَىٰ الجَنَّةِ، يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَبْوَابِهَا العَظِيمَةِ المُغْلَقَةِ، يَنْتَظِرُونَ اللَّحْظَةَ الَّتِي تُفْتَحُ فِيهَا لَهُمْ.

وَفَجْأَةً يَأْتِي رَجُلٌ عَظِيمٌ جَمِيلٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ النُّورُ، فَيَتَقَدَّمُ وَيَمْشِي بِاتِّجَاهِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ. الكُلُّ إِلَيْهِ يَنْظُرُونَ، مَنْ هَذَا الجَمِيلُ؟ مَنْ هَذَا الكَرِيمُ؟ إِنَّهُ سَيِّدُ البَشَرِيَّةِ وَإِمَامُ البَرِيَّةِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ.

يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالمَلَائِكَةُ وَاقِفُونَ عِنْدَ أَبْوَابِ الجَنَّةِ لِاسْتِقْبَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وَهُنَا لَحْظَةٌ عَظِيمَةٌ! مَنْ سَيَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ؟

إِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ، مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» (١).

وَهُنَا اللَّحَظَاتُ الحَاسِمَةُ الرَّائِعَةُ، الأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ إِلَىٰ أَبْوَابِ الجَنَّةِ بِانْتِبَاهٍ شَدِيدٍ. وَفَجْأَةً تَتَحَرَّكُ الأَبْوَابُ الكَبِيرَةُ العَظِيمَةُ، ثُمَّ تُفْتَحُ كُلُّهَا...

وَإِذَا بِنَسِيمِ الجَنَّةِ العَطِرِ يَهُبُّ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، لَمْ يَشُمُّوا مِثْلَهُ مُنْذُ خَلَقَهُمُ اللهُ فَيَمْلَؤُهُمْ فَرَحًا وَاطْمِئْنَانًا، وَيُذْهِبُ عَنْهُمْ كُلَّ عَنَاءٍ مَرَّ بِهِمْ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَشْجَارِهَا الخَضْرَاءِ وَفَوَاكِهِهَا المُدَلَّاةِ المُمْتَدَّةِ وَأَنْهَارِهَا العَذْبَةِ، فَمَا مِنْ شَجَرَةٍ فِي الجَنَّةِ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ. يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الطُّيُورِ الحَمْرَاءِ وَالخَضْرَاءِ وَالصَّفْرَاءِ وَأَلْوَانٍ جَمِيلَةٍ خَلَقَهَا اللهُ مَا رَأَوْهَا فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ". يَا لَهُ مِنْ نِدَاءٍ مَا أَجْمَلَهُ! طَالَمَا صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَجَاهَدْنَا وَتَحَمَّلْنَا لِأَجْلِ الوُصُولِ لِهَذِهِ اللَّحَظَاتِ، فَهَاهِيَ اليَوْمَ حَقِيقَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا.

ثُمَّ يَبْدَأُ المَشْيُ لِلدُّخُولِ إِلَىٰ دَارِ النَّعِيمِ، هُنَا يَدْخُلُونَ مِنَ الأَبْوَابِ الَّتِي تَسْتَحِقُّونَهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» (١).

وَعَدَدُ هَذِهِ الأَبْوَابِ ثَمَانِيَةٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّىٰ الرَّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» (٢).

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ... أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» (١).

وَلِكُلِّ بَابٍ مِيزَةٌ عَظِيمَةٌ، فَقَدْ نَصَّ العُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الأَبْوَابَ تَشْرِيفٌ وَتَكْرِيمٌ.

وَأَنَّ "المُرَادَ مَا يُتَطَوَّعُ بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ المَذْكُورَةِ، لَا وَاجِبَاتِهَا... ثُمَّ مَنْ يَجْتَمِعُ لَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُدْعَىٰ مِنْ جَمِيعِ الأَبْوَابِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّكْرِيمِ لَهُ".

"فَلَيْسَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي الدُّخُولِ مِنْ بَابٍ لَا يَتَعَدَّاهُ، كَمَنْ يُتَلَقَّىٰ مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَيَدْخُلُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ".

وَأَبْوَابُ الجَنَّةِ وَاسِعَةٌ جِدًّا، قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ» (٢).

فَمَعْنَىٰ البَابِ مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ وَالعُرْفِ، وَهُوَ مَا أَثْبَتَهُ العُلَمَاءُ، لَكِنَّ شَكْلَهُ وَصُورَتَهُ مِنَ الغَيْبِ.

"وَفِي هَذَا الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا".

وَأَبْوَابُ الجَنَّةِ أَبْوَابٌ حَقِيقِيَّةٌ يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْهَا.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لَحظَاتٌ، فَإِذَا هُمْ يَرَوْنَ الأَبْوَابَ شَامِخَةً، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة ص:٤٩-٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر:٧٣].

وَيُنَادَوْنَ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحجر:٤٦].

يَا لَهَا مِنْ نِهَايَةٍ جَمِيلَةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ لِقِصَّةِ رِحْلَةِ المُؤْمِنِينَ!

دُرُوسٌ مُسْتَفَادَةٌ

الآنَ، وَبَعْدَ أَنْ سَمِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ هَذِهِ القِصَّةَ العَظِيمَةَ الَّتِي تَصِفُ لَنَا كَيْفَ يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَيْهَا، أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ: مَاذَا اسْتَفَدْتَ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ؟ وَمَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَثَّرَ فِيكَ أَكْثَرَ شَيْءٍ؟

- **حَسَّان**: أَكْثَرُ شَيْءٍ أَثَّرَ فِيَّ هُوَ كَيْفَ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ أَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ. هَذَا يُبَيِّنُ لَنَا عِظَمَ مَكَانَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَيَجْعَلُنِي أُحِبُّهُ أَكْثَرَ وَأَحْرِصُ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ لِأَكُونَ مِمَّنْ يَشْفَعُ لَهُمْ.

• **رَزَان**: أَنَا تَعَلَّمْتُ أَنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ لَيْسَتْ بَابًا وَاحِدًا، بَلْ هِيَ أَبْوَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. هَذَا يُشَجِّعُنِي عَلَىٰ أَنْ أَعْمَلَ كُلَّ أَنْوَاعِ الخَيْرِ، مِثْلَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، لِأُدْعَىٰ مِنْ كُلِّ الأَبْوَابِ مِثْلَمَا سَيُدْعَىٰ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

• **رَيَّان**: أَنَا اسْتَفَدْتُ أَنَّ كُلَّ التَّعَبِ وَالمَشَقَّةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ طَاعَةِ اللهِ سَيَنْتَهِي بِفَرْحَةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ. وَهَذَا يَجْعَلُنِي أَصْبِرُ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ وَأَتَحَمَّلُ الصِّعَابَ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الجَزَاءَ سَيَكُونُ شَيْئًا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ.

• **تَسْنِيم**: أَكْثَرُ مَا تَعَلَّمْتُهُ هُوَ أَهَمِّيَّةُ "القَنْطَرَةِ" قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ، حَيْثُ يَتِمُّ تَنْقِيَةُ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ مِنَ الغِلِّ وَالحِقْدِ. هَذَا يُعَلِّمُنِي ضَرُورَةَ أَنْ أَحْرِصَ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ قَلْبِي نَقِيًّا وَسَلِيمًا فِي الدُّنْيَا، وَأُسَامِحَ الآخَرِينَ وَلَا أَحْمِلَ الكَرَاهِيَةَ لِأَحَدٍ.

• **حَسَّان (الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ)**: وَاسْتَفَدْتُ أَيْضًا أَنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ وَاسِعَةٌ جِدًّا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَكَرَمِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ تَتَّسِعُ لِجَمِيعِ مَنِ يَسْتَحِقُّهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

• **تَسْنِيم (الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ)**: وَأَعْجَبَتْنِي أَيْضًا فِكْرَةُ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَنْتَظِرُونَ المُؤْمِنِينَ عِنْدَ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ". هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّكْرِيمِ العَظِيمِ الَّذِي يَلْقَاهُ أَهْلُ الجَنَّةِ بَعْدَ رِحْلَةِ الكِفَاحِ وَالجِهَادِ فِي الدُّنْيَا.

***

الدُّخُولُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ

أَبْنَائِيَ الأَعِزَّاءَ،

بَعْدَ أَنْ تَذَوَّقُوا عِطْرَ الجَنَّةِ، وَشَاهَدُوا جَمَالَهَا مِنْ خَلْفِ الأَبْوَابِ المَفْتُوحَةِ، يَأْتِي النِّدَاءُ الأَعْظَمُ، نِدَاءُ الخُلُودِ وَالنَّعِيمِ الأَبَدِيِّ: "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ". إِذَا مَا دَقَّتْ أَبْوَابُ الخُلُودِ، وَسَمِعُوا النِّدَاءَ: "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ"، فَلَا تُشْبِهُ تِلْكَ اللَّحْظَةُ أَيَّ لَحْظَةٍ.

كَأَنِّي بِهِمْ وَهُمْ يَخْطُونَ أُولَىٰ خُطُوَاتِهِمْ عَلَىٰ تُرَابِ الجَنَّةِ الَّذِي لَيْسَ كَتُرَابِ الدُّنْيَا، بَلْ هُوَ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ، وَحَصْبَاؤُهَا لُؤْلُؤٌ وَدُرٌّ وَيَاقُوتٌ. كُلُّ شَيْءٍ يَلْمَعُ وَيَبْرُقُ مِنْ شِدَّةِ النَّقَاءِ وَالجَمَالِ. يَسِيرُونَ وَقَدْ أُزِيلَ مِنْ قُلُوبِهِمْ كُلُّ هَمٍّ، وَتَلَاشَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ كُلُّ آلَامٍ. يَتَنَقَّلُونَ بَيْنَ أَشْجَارٍ عَجِيبَةٍ، أُصُولُهَا وَأَغْصَانُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَثِمَارُهَا دَانِيَةٌ، لَا يَحْتَاجُونَ جُهْدًا لِقَطْفِهَا. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ.

إِنَّهَا فَرْحَةٌ لَا تُقَاسُ بِزَمَنٍ، وَلَا هِيَ سُرُورٌ عَابِرٌ، إِنَّمَا هِيَ انْفِجَارُ نُورٍ فِي صَدْرٍ جَثَمَ عَلَيْهِ الهَمُّ وَالحُزْنُ لِعُصُورٍ وَدُهُورٍ. وَاليَوْمَ يَمْشِي المُؤْمِنُونَ وَهُمْ يَلْهَجُونَ بِذِكْرِ اللهِ، فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ اليَوْمَ مِنْ ثِقَلٍ، بَلْ يَطَؤُونَ كَأَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ. وَبِأَلْسِنَتِهِمْ يُرَدِّدُونَ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فاطر: ٣٤-٣٥].

وَيُرَدِّدُونَ أَيْضًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٤٣]. وَهُنَا يُرْفَعُ عَنْهُمُ الخَوْفُ وَيُنَادُونَ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٨-٧٠].

كَأَنِّي أَرَاهُمْ وَهُمْ يَخْطُونَ أُولَىٰ خُطُوَاتِهِمْ عَلَىٰ تُرَابِ الجَنَّةِ الَّذِي لَيْسَ كَتُرَابِ الدُّنْيَا، بَلْ هُوَ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ، وَحَصْبَاؤُهَا لُؤْلُؤٌ وَدُرٌّ وَيَاقُوتٌ. كُلُّ شَيْءٍ يَلْمَعُ وَيَبْرُقُ مِنْ شِدَّةِ النَّقَاءِ وَالجَمَالِ. يَسِيرُونَ وَقَدْ أُزِيلَ مِنْ قُلُوبِهِمْ كُلُّ هَمٍّ، وَتَلَاشَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ كُلُّ آلَامٍ.

وَمِمَّا يُلَاحِظُونَهُ قَبْلَ أَنْ يُفْتَحَ بَابُ القُصُورِ رِيحٌ لَا تُشْبِهُ رِيحَ الدُّنْيَا، هِيَ لُقْيَا المِسْكِ وَالطِّيبِ مَمْزُوجًا بِنَسَائِمَ رُوحِيَّةٍ تَسْبِقُهُمْ مِنْ بَعِيدٍ. ثُمَّ تَحُطُّ أَقْدَامُهُمْ عَلَىٰ تُرَابٍ لَيْسَ كَتُرَابِنَا: مِسْكٌ وَلِينٌ وَدُرٌّ، تُرَابُهُ طَاهِرٌ لَيْسَ فِيهِ غُبَارٌ وَلَا شَوَائِبَ، كُلُّ خُطْوَةٍ لَهَا صَدًىٰ مِنْ صَفَاءٍ وَرَاحَةٍ.

وَتُشَاهِدُ أَعْيُنُهُمْ حَدَائِقَ مُتَوَالِيَةً، أَشْجَارُهَا عَجِيبَةٌ: جُذُوعُهَا كَأَنَّهَا أَعْمِدَةٌ مِنْ نُورٍ، وَأَغْصَانُهَا تُمْطِرُ ثِمَارًا بَادِرَةً عَلَىٰ الدَّوَامِ، وَظِلَالُهَا لَا تَنْقَضِي. أَغْصَانٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ تَتَرَقْرَقُ، وَثِمَارٌ يَانِعَةٌ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَطَعْمٍ تَجْتَمِعُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ - طَعْمُهَا أَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ وَأَلَذُّ مِنْ كُلِّ لَذِيذٍ. وَأَمَّا عَنْ جَوِّ الجَنَّاتِ فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا بَرْدَ وَلَا

حَرَّ، جَوٌّ صَافٍ مُنَقًّىٰ، النُّورُ يُضِيءُ كُلَّ مَكَانٍ، القُصُورُ تَشِعُّ بِالنُّورِ وَكَذَا الأَشْجَارُ وَالزُّهُورُ وَكَذَا وُجُوهُ الحُورِ، نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ.

مَنَازِلُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَقُصُورُهُمْ

مَنَازِلُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَقُصُورُهُمْ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ المُتَّقِينَ، وَتَتَمَيَّزُ بِصِفَاتٍ لَا يُمْكِنُ لِلْعَقْلِ البَشَرِيِّ أَنْ يَتَخَيَّلَهَا فِي الدُّنْيَا. لَقَدْ وَرَدَ وَصْفُهَا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بِشَكْلٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الفَخَامَةِ وَالجَمَالِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَرَوْعَةِ الحَالِ.

مَا إِنْ يَتَقَدَّمُونَ خُطُوَاتٍ، حَتَّىٰ تَظْهَرَ لَهُمُ القُصُورُ. قُصُورٌ لَا تُشْبِهُ شَيْئًا رَأَوْهُ أَوْ تَخَيَّلُوهُ. مَبْنِيَّةٌ مِنْ لَبِنَةِ ذَهَبٍ وَلَبِنَةِ فِضَّةٍ، كُلُّ قَصْرٍ لَهُ جَمَالُهُ الخَاصُّ، وَلَوْنُهُ الَّذِي يُبْهِجُ الرُّوحَ. يَرَىٰ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَصْرَهُ، وَيُقَالُ لَهُ: "هَذَا مَنْزِلُكَ الَّذِي أَعْدَدْنَاهُ لَكَ". يَدْخُلُ المُؤْمِنُ قَصْرَهُ، فَيَرَىٰ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

أَمَّا عَنِ القُصُورِ فَاسْمَعْ بِكُلِّ سُرُورٍ: لَبِنَاتٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَدُرٍّ وَيَاقُوتٍ، وَأُخْرَىٰ مَبْنِيَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَكُلُّ بَيْتٍ فِيهَا أَوْسَعُ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ إِنْسَانٌ. يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ: "هَذَا مَنْزِلُكَ الَّذِي أَعْدَدْنَاهُ لَكَ"، فَيَدْخُلُ فَإِذَا بِرُؤْيَةٍ تَفُوقُ كُلَّ تَخَيُّلٍ. الفُرُشُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، وَالمَجَالِسُ مُرَصَّعَةٌ بِزِينَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثَالٌ، وَالأُنْسُ فِيهَا غَيْرُ أُنْسِ الدُّنْيَا - فَفِيهَا رَاحَةٌ مِنْ كُلِّ عَنَاءٍ.

يُلْقِي بِنَفْسِهِ عَلَىٰ سَرِيرِ الدِّيبَاجِ وَالحَرِيرِ فَتَعُودُ الذِّكْرَيَاتُ لِأَيَّامِ الدُّنْيَا النَّكِدَاتِ وَالأَيَّامِ الخَالِيَاتِ وَمَا مَرَّ بِهِ مِنْ مُنَغِّصَاتٍ، فَلَا تَسَلْ عَنْ تِلْكَ اللَّحَظَاتِ. فَيَا لَلَّهِ مَا أَجْمَلَهُ مِنْ

شُعُورٍ! أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ وَفَرَحٌ لَيْسَ لَهُ حُدُودٌ. إِنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ مَعْنَاهُ الفَوْزُ وَمَعْنَاهُ النَّجَاحُ وَمَعْنَاهُ النَّجَاةُ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ.

لَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عِدَّةُ صِفَاتٍ لِمَسَاكِنِهِمُ الَّتِي فِيهَا يَسْكُنُونَ وَإِلَيْهَا يَأْوُونَ، مِنْهَا أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِطَرِيقَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ، وَأَنَّهَا مَكَانٌ لِلطَّهَارَةِ وَالِاطْمِئْنَانِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢﴾ [سورة الصف:١٢]. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [سورة الزمر:٢٠]. فَمَنَازِلُ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ بُيُوتٍ عَادِيَّةٍ، بَلْ هِيَ غُرَفٌ فَوْقَهَا غُرَفٌ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ العُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ وَالمَنْظَرِ الجَمِيلِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لِزِيَادَةِ البَهْجَةِ وَالنَّعِيمِ.

وَذَكَرَ القُرْآنُ وُجُودَ خِيَامٍ لِأَهْلِ الجَنَّةِ، لَيْسَتْ كَخِيَامِ الدُّنْيَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾ [سورة الرحمن:٧٢]. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِ مَسَاكِنَ خَاصَّةٍ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ، تَكُونُ عَلَىٰ هَيْئَةِ خَيْمَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا عَنْ بِنَاءِ هَذِهِ القُصُورِ وَمَوَادِّهَا. رَوَىٰ الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي حَدِيثِ المِعْرَاجِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ فِي الجَنَّةِ: "لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ". وَ"المِلَاطُ" هُوَ مَا يُوضَعُ بَيْنَ اللَّبِنَاتِ (الطُّوبِ) لِرَبْطِهَا، فَبَدَلًا مِنَ الطِّينِ يَكُونُ مِسْكًا خَالِصًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ وَالجَمَالِ الَّذِي لَا يُوصَفُ.

وَمِنَ المَسَاكِنِ فِي دَارِ النَّعِيمِ خِيَمٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ عَظِيمٍ: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (١).

لِقَاءُ الحُورِ العِينِ

وَفِي تِلْكَ القُصُورِ الفَارِهَةِ، يَجِدُ المُؤْمِنُ مَا يُتَمِّمُ بِهِ نَعِيمَهُ. يَرَىٰ مِنْ حَوْلِهِ الوِلْدَانَ المُخَلَّدِينَ، كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ، يَخْدُمُونَهُ وَيَسْعَوْنَ عَلَىٰ رَاحَتِهِ بِكُلِّ حُبٍّ وَسُرُورٍ، يُقَدِّمُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، دُونَ أَنْ يَمَلُّوا أَوْ يَتْعَبُوا.

فَجْأَةً يَسْمَعُ صَوْتًا يَأْخُذُ بِالقَلْبِ وَيَأْسِرُ السَّمْعَ، لَمْ يَسْمَعْ صَوْتًا مِثْلَهُ، إِنَّ الصَّوْتَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، فَإِذَا بِهِ صَوْتُ زَوْجَاتِهِ مِنَ الحُورِ العِينِ، اسْتَقْبَلْنَهُ بِفَرَحٍ يُغَنِّينَ: "نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ".

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَيْرَاتُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتْنَهُ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا نَخَفْنَهُ، نَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنَهُ».

يَا لَهَا مِنْ لَحْظَةٍ! يَرَىٰ المَرْأَةَ الَّتِي طَالَمَا سَمِعَ عَنْهَا، وَالَّتِي وَعَدَهُ اللهُ بِهَا. وَجْهُهَا كَالْقَمَرِ، وَشَعْرُهَا كَالحَرِيرِ، وَعُيُونُهَا وَاسِعَةٌ كَلَمَعَانِ النُّجُومِ. يَرَىٰ فِيهَا جَمَالًا لَمْ يَرَهُ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا. تَبْتَسِمُ لَهُ، فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِالبَهْجَةِ، وَيُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ صَبْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكُلَّ جَهْدِهِ، كَانَ ثَمَنُهُ هَذِهِ السَّعَادَةَ الَّتِي لَا تُوصَفُ. هِيَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ زَوْجَةٍ، بَلْ هِيَ شَرِيكَةُ النَّعِيمِ، رَفِيقَةُ الخُلُودِ، الَّتِي لَا يُمَلُّ مِنْهَا النَّظَرُ.

فَإِذَا نَظَرَ إِلَىٰ زَوْجَتِهِ رَأَىٰ الجَمَالَ وَالكَمَالَ فَيَرَىٰ مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَىٰ مَحَاسِنَ وَجْهِهِ بِعَيَانٍ، كَأَنَّ خَدَّهَا المِرْآةُ يَرَىٰ وَجْهَهُ فِيهِ مِنْ صَفَائِهَا وَبَيَاضِهَا وَنُعُومَتِهَا.

يَصِفُ القُرْآنُ الحُورَ العِينَ بِصِفَاتِ الجَمَالِ وَالطُّهْرِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَخَيُّلُهَا فِي الدُّنْيَا: فَعَنْ جَمَالِ المَظْهَرِ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الواقعة:٢٢-٢٣].

أَيْ أَنَّهُنَّ فِي شِدَّةِ البَيَاضِ وَصَفَائِهِنَّ مِثْلُ اللُّؤْلُؤِ المَصُونِ فِي صَدَفِهِ، الَّذِي لَمْ تَمَسَّهُ الأَيْدِي. وَأَمَّا عَنْ طُهْرِ السَّرِيرَةِ وَالجَسَدِ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الرحمن:٥٦]. قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: أَيْ أَنَّهُنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَّا إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِنَّ لَهُمْ، فَلَا يَلْتَفِتْنَ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ: أَيْ أَنَّهُنَّ لَمْ يَمَسَّهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ، وَهُنَّ أَبْكَارٌ.

وَأَمَّا عَنْ شَبَابِهِنَّ الدَّائِمِ: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣﴾ [سورة النبأ:٣٣]. كَوَاعِبَ أَتْرَابًا: أَيْ أَنَّهُنَّ فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، وَهُنَّ فِي سِنِّ الشَّبَابِ الدَّائِمِ.

وَأَمَّا عَنْ جَمَالِ العُيُونِ: كَلِمَةُ "حُورٌ" فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ بَيَاضِ بَيَاضِ العَيْنِ، وَشِدَّةِ سَوَادِ سَوَادِهَا. وَكَلِمَةُ "عِينٌ" تَدُلُّ عَلَىٰ اتِّسَاعِهَا وَجَمَالِهَا.

أَنْهَارُ الجَنَّةِ وَثِمَارُهَا وَمَلَابِسُهَا

وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ المُؤْمِنُ فِي الجَنَّةِ، رَأَىٰ الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهِ وَمَسَاكِنِهِ. أَنْهَارٌ لَيْسَتْ كَنَهْرِ الدُّنْيَا، أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّىٰ. يَشْرَبُ مِنْهَا فَيُدْرِكُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرَابُ الَّذِي لَا يُورِثُ هَمًّا وَلَا سَقَمًا.

أَمَّا عَنِ الأَنْهَارِ فِي الجَنَّةِ: فَأَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ صَافٍ فَلَا كَدَرَ فِيهِ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَا يُورِثُ سُكْرًا وَلَا سَقَمًا، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّىٰ. أَنْهَارٌ تَجْرِي عَلَىٰ أَرْضِ الجَنَّةِ بِلَا أَخَادِيدَ، أَنْهَارُهَا مِنْ غَيْرِ أُخْدُودٍ جَرَتْ سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الفَيَضَانِ.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [سورة محمد:١٥]. يَشْرَبُونَ مِنْهَا كَيْفَ يَشَاءُونَ، فَمَا يُرِيدُ أَحَدُهُمْ شَيْئًا إِلَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ. هَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي تَحْتَ قُصُورِهِمْ، وَحَيْثُمَا يَشَاؤُونَهَا تَتَفَجَّرُ لَهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦﴾ [سورة الإنسان:٦].

أَمَّا الثِّمَارُ، فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ. كُلَّمَا اشْتَهَىٰ الْمُؤْمِنُ فَاكِهَةً، وَجَدَهَا أَمَامَهُ. فَوَاكِهُ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، كُلُّهَا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ. يَدُهُ مَمْدُودَةٌ لَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَا تَذْبُلُ، وَلَا تَنْتَهِي، وَلَا يَمَلُّ مِنْهَا. تَجِدُ أَيْضًا طَاوِلَاتٍ عَامِرَةً بِأَنْوَاعِ الطَّعَامِ - لَحْمِ طَيْرٍ لَمْ تَطْعَمْ مِثْلَهُ، وَفَوَاكِهِ إِذَا امْتَدَّتْ يَدُكَ إِلَيْهَا جَنَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَكُؤُوسٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَمَجَامِرِ عُطُورٍ تُعَطِّرُ الْمَجْلِسَ. كُلُّ طَعَامٍ لِشَهِيَّتِهِمْ، وَكُلُّ شَرَابٍ لَذَّتُهُ أُوجِدَتْ بِلَا مَرَضٍ وَلَا تَعَبٍ.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣﴾ [سورة الواقعة:٣٢-٣٣]، ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الدخان:٥٥]، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ۝٦٨﴾ [سورة الرحمن:٦٨]، ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢﴾ [سورة الطور:٢٢].

سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟" فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ». "زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ" هِيَ قِطْعَةٌ مُنْفَصِلَةٌ مِنْ كَبِدِ الْحُوتِ، وَتُعْتَبَرُ مِنْ أَشْهَىٰ وَأَطْيَبِ الأَجْزَاءِ.

يُلْبَسُونَ مِنْ حُلَلِ السُّنْدُسِ وَالإِسْتَبْرَقِ، بِأَبْهَىٰ حُلْيَةٍ وَأَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَأَجْمَلِ مَخْبَرٍ، مَنَاظِرُهُمْ كَنُورٍ مُشْرِقٍ. مَلْبَسُهُمْ مِنْ حَرِيرٍ نَاعِمٍ، وَلَوْنُهُمْ مِنْ جَمَالٍ دَائِمٍ، لَا يَبْلَىٰ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يُكَدِّرُهُ عَنَاءٌ وَلَا يَحُولُ. ثِيَابٌ خَضْرَاءُ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، أُلْبِسُوا بِهَا، فَازْدَادُوا حُسْنًا وَبَهَاءً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الكهف: ٣٠-٣١]، ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحج: ٢٣]، ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الإنسان: ٢١]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الدخان: ٥١-٥٣].

مَلَابِسُهُمْ وَحُلَلُهُمْ فِي الجَنَّةِ أَفْخَرُ مِمَّا يَتَصَوَّرُ الخَيَالُ: سُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ، وَحَرِيرٌ لَا يُنْقِصُهُ ارْتِدَاءٌ، وَحَرِيرٌ مُدَبَّجٌ بِالجَوَاهِرِ، وَحُلَلٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.

وَهُنَاكَ دَرَجَاتٌ عَالِيَةٌ وَمَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الكِتَابِ تَفْصِيلٌ لِلْأَدْوَارِ وَالغُرَفِ، وَأَنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَنْزِلَةً بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَصَبْرِهِ وَوَفَائِهِ. وَوَرَدَ أَيْضًا مَا يُبْهِرُكَ مِنْ أَحَادِيثِ المَسَافَةِ بَيْنَ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ سَعَةٍ وَعَظَمَةٍ تَفُوقُ كُلَّ وَصْفٍ.

خِتَامُ الرِّحْلَةِ وَسُؤَالٌ لِلأَبْنَاءِ

وَفِي خِتَامِ الرِّحْلَةِ - بَدَلَ أَنْ يَنْقَطِعَ النَّعِيمُ - تُضَافُ زِيَادَةٌ: رِضْوَانُ اللهِ يَقُولُ: "أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ... أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا". لَقَدْ سَمِعَ المُؤْمِنُونَ وَعْدَ رَبِّهِمْ، فَزَادَ الفَرَحُ وَجَعَلَ كُلَّ نِعْمَةٍ وَرَاءَهَا نَعِيمٌ وَنَعِيمٌ.

هَكَذَا - نَعِيمٌ بَعْدَ نَعِيمٍ - تَتَوَاصَلُ أَفْرَاحُ أَهْلِ الجَنَّةِ؛ مِنْ ظِلٍّ إِلَىٰ ثَمَرٍ إِلَىٰ قُصُورٍ إِلَىٰ أَسْوَاقٍ إِلَىٰ مَجَالِسِ ذِكْرٍ، كُلُّهَا حَلَقَاتُ سُرُورٍ لَا تَنْتَهِي. فَلَا مَرَضَ، وَلَا أَلَمَ، وَلَا مَوْتَ يَأْخُذُ مِنْهُمْ غَالِيًا، وَإِنَّمَا عُمْرٌ دَائِمٌ وَنَعِيمٌ تَامٌّ وَرِضًا لَا يَزُولُ.

مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنَ القِصَّةِ؟

الأَبُ: هَيَّا يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمْ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ العَظِيمِ، مَا هِيَ أَهَمُّ فَائِدَةٍ اسْتَخْلَصْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ؟

- **حَسَّانُ**: أَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ الجَنَّةَ لَيْسَتْ فَقَطْ مَكَانًا جَمِيلًا، بَلْ هِيَ مَكَانٌ لِلْخُلُودِ، لَا فِيهِ مَرَضٌ وَلَا حُزْنٌ. وَأَعْظَمُ نَعِيمٍ فِيهَا هُوَ رِضْوَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **رَزَانُ**: وَأَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُجَازِي المُؤْمِنَ عَلَىٰ صَبْرِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ بِنَعِيمٍ لَا يُصَدَّقُ. فَكُلُّ مَا تَحَمَّلْنَاهُ فِي الدُّنْيَا سَيَكُونُ ثَمَنُهُ سَعَادَةً لَا تَنْقَطِعُ فِي الجَنَّةِ.
- **رَيَّانُ**: أَمَّا أَنَا، فَأَعْجَبَنِي كَثِيرًا وَصْفُ القُصُورِ وَالأَنْهَارِ وَالأَشْجَارِ، وَأَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا عَنْ دُنْيَانَا. وَأَنَّ اللهَ أَعَدَّ لَنَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. هَذَا يُحَفِّزُنِي لِأَنْ أَكُونَ أَفْضَلَ.

• تَسْنِيمُ: وَأَنَا يَا أَبِي، أَحْبَبْتُ كَثِيرًا لِقَاءَ الأَهْلِ وَالأَحْبَابِ، وَأَنَّ الأُسْرَةَ الصَّالِحَةَ سَتَجْتَمِعُ فِي الجَنَّةِ. وَهَذَا يُشَجِّعُنِي عَلَىٰ الدُّعَاءِ لِأَهْلِي وَلِكُلِّ مَنْ أُحِبُّهُمْ بِأَنْ نَجْتَمِعَ فِي الجَنَّةِ.

***

كَمَالُ النَّعِيمِ وأعظم نعيم.

أَبْنَائِيَ الأَعِزَّاءَ،

بَعْدَ كُلِّ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ لَكُمْ فِي الجَنَّةِ، مِنَ القُصُورِ وَالأَنْهَارِ وَالحُورِ العِينِ، يَأْتِي النَّعِيمُ الأَكْبَرُ، وَالسَّعَادَةُ الَّتِي لَا تُقَارَنُ.

فَأَمَّا عَنْ طَعَامِهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَتَأَمَّلُوا إِلَىٰ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ. طَعَامُهُمْ لَيْسَ كَطَعَامِ الأَنَامِ، لَا يُؤَوَّلُ إِلَىٰ قَذَرٍ وَلَا مَلَامٍ. إِنَّمَا هُوَ رَشْحٌ كَالمِسْكِ، وَجُشَاءٌ كَأَطْيَبِ العِطْرِ، لَا يَجِدُونَ مِنْهُ أَدْنَىٰ ضَرَرٍ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ أَيِّ سَتْرٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، إِنَّمَا هُوَ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرِشْحِ المِسْكِ». فَطُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ، ثُمَّ طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ! فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا، وَتَنَعَّمَ نَعِيمًا مُقِيمًا.

لِقَاءُ الأَحِبَّةِ وَالرُّسُلِ

يَجْتَمِعُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي سُوقٍ عَظِيمٍ، لَيْسَ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، بَلْ لِلْجَمَالِ وَالكَمَالِ. يَلْبَسُونَ أَفْخَرَ الثِّيَابِ، وَيَتَجَمَّلُونَ بِأَبْهَىٰ الزِّينَةِ. وَسُوقُ الجَنَّةِ لَيْسَتْ سُوقًا كَدَكَاكِينِ الدُّنْيَا وَغُبَارِهَا وَنَكَدِهَا، بَلْ سُوقٌ مِنْ نُورٍ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ كُلَّ جُمُعَةٍ يَلْتَقُونَ فِيهِ بِمَنْ أَحَبُّوا، فَيَتَسَوَّقُونَ بِكُلِّ سُرُورٍ وَيَسْتَزِيدُونَ نَعِيمًا، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَىٰ مَسَاكِنِهِمْ أَكْثَرَ رِفْعَةً وَبَهْجَةً وَجَمَالًا. قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا

وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا».

الزِّيَارَةُ بَيْنَ الأَهْلِ وَالأَصْدِقَاءِ طَيِّبٌ لَا يُنَغِّصُهُ حَسَدٌ وَلَا غِلٌّ، كُلُّ وَاحِدٍ يَفْرَحُ لِفَرَحِ صَاحِبِهِ كَمَا لَوْ كَانَ فَرَحُهُ نَفْسَهُ. ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر:٤٧]. لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ، ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة ص:٥١]. يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٤]. فَيَأْكُلُونَ تَلَذُّذًا لَا عَنْ جُوعٍ.

أَمَّا عَنْ لِقَاءِ الأَحِبَّةِ: فَمَا أَجْمَلَ أَنْ تَشْتَاقَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَكَ أَنْ تَرَاهُ وَتَذْهَبَ لِلُقْيَاهُ فِي قَصْرِهِ العَظِيمِ وَمَنْزِلِهِ الكَرِيمِ. وَأَنْتَ تَمْشِي إِلَيْهِ شَوْقًا لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَفَجْأَةً تَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنْظُرُ إِلَىٰ حَبِيبِكَ وَإِمَامِكَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي طَالَمَا اشْتَقْتَ إِلَيْهِ وَتَمَنَّيْتَ الجُلُوسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، هَا أَنْتَ الآنَ تَتَقَدَّمُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ. قَالَ رَبُّ العَالَمِينَ لَهُمْ: ﴿لَّهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ق:٣٥]. تَشَاءُ أَنْ تُعَانِقَ نَبِيَّكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَشَاءُ أَنْ تُقَبِّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، تَشَاءُ أَنْ تُكَلِّمَهُ وَتُجَالِسَهُ، هَا أَنْتَ قَدْ أَعْطَاكَ اللهُ مُنَاكَ وَحَقَّقَ لَكَ مَا تُرِيدُ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ النَّعِيمِ.

وَلَكَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَنْ عُمَرَ الفَارُوقِ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ وَعَنْ عَلِيٍّ رَابِعِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، تَلْقَىٰ العَشَرَةَ المُبَشَّرِينَ. يُؤْذَنُ لَكَ بِلُقْيَاهُمْ، تَدْعُو لَهُمْ

وَتَشْكُرُهُمْ: "جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا بِمَا قَدَّمْتُمُوهُ لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ". تَذْهَبُ لِتَلْتَقِي بِالعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ أَحْبَبْتَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. يَلْتَقِي الشَّيْخُ بِطُلَّابِهِ وَالحَبِيبُ بِأَحْبَابِهِ وَالصَّاحِبُ بِأَصْحَابِهِ. يَلْتَقِي الأَبُ بِوَلَدِهِ الَّذِي فَارَقَهُ لِسِنِينَ وَطَالَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا البُكَاءُ وَالحَنِينُ، يَلْتَقِي الابْنُ المَكْلُومُ الَّذِي فَارَقَ أَبَاهُ فِي الدُّنْيَا وَلَزِمَتْهُ الهُمُومُ وَالغُمُومُ، يَلْتَقِي بِجَدِّهِ وَجَدَّتِهِ اللَّذَيْنِ طَالَمَا احْتَرَقَ قَلْبُهُ شَوْقًا إِلَيْهِمَا. يَلْتَقِي بِأُمِّهِ الحَنُونِ الَّتِي اشْتَاقَ لِرِيحِهَا وَوَجْهِهَا وَكَلَامِهَا وَابْتِسَامَتِهَا، يَلْتَقِي بِالزَّوْجَةِ الوَفِيَّةِ الصَّابِرَةِ التَّقِيَّةِ وَقَدْ أَعْطَاهَا اللهُ جَمَالًا فَاقَ جَمَالَ الحُورِ العِينِ، تَلْتَقِي بِزَوْجِهَا الَّذِي تَغَيَّبَتْ عَنْهُ لِدُهُورٍ وَسِنِينَ وَعُصُورٍ، يَلْتَقِي بِالإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ وَالأَعْمَامِ وَالعَمَّاتِ وَالأَخْوَالِ وَالخَالَاتِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ الَّذِينَ عَاشُوا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ حَتَّىٰ المَمَاتِ. يَجْمَعُ اللهُ الأُسْرَةَ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي سَعَادَةٍ وَنَعِيمٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [سورة الطور:٢١]. فَيَا وَيْلَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ أَهْلِهِ الصَّالِحِينَ وَقَصَّرَ بِهِ عَمَلُهُ المَشِينُ فَتَعَرْقَلَ عَنِ النَّعِيمِ بِالعَذَابِ وَالحَمِيمِ.

النَّعِيمُ الأَعْظَمُ: رُؤْيَةُ اللهِ

وَهُنَا، يَتَوَجَّهُ لَهُمْ نِدَاءٌ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، مِنَ الكَرِيمِ الرَّحِيمِ. فَبَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ هَذَا الخَيْرِ، هُنَا وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا النَّعِيمِ، يَأْتِي النَّعِيمُ الأَكْبَرُ، وَالسَّعَادَةُ الَّتِي لَا تُقَارَنُ.

يَرْتَفِعُ الحِجَابُ العَظِيمُ، وَتُضَاءُ الجَنَّةُ بِنُورٍ لَيْسَ كَنُورِ الشَّمْسِ، إِنَّهُ نُورُ وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ. هُنَا، تُوجَلُ القُلُوبُ، وَتَصْمُتُ الأَلْسِنَةُ عَنِ الكَلَامِ، وَتُشْخَصُ الأَبْصَارُ. إِنَّهَا لَحْظَةٌ لَا

يُمْكِنُ وَصْفُهَا! يَنْسَىٰ أَهْلُ الجَنَّةِ كُلَّ مَا رَأَوْهُ مِنْ نَعِيمٍ، وَيَنْسَوْنَ قُصُورَهُمْ وَحُورَهُمْ وَأَنْهَارَهُمْ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا الجَمَالَ المُطْلَقَ، وَالكَمَالَ الَّذِي لَا يُدْرَكُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْك. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ». وَفِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦].».

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، تَتَوَقَّفُ الأَنْفَاسُ، وَتَخْرُجُ القُلُوبُ مِنْ صُدُورِهَا شَوْقًا وَهَيْبَةً. عُيُونٌ طَالَ سَهَرُهَا فِي دُنْيَا لِلَّيْلِ تَبْكِي، وَأَقْدَامٌ طَالَ وُقُوفُهَا فِي تَهَجُّدٍ وَقِيَامٍ، وَجِبَاهٌ كَثُرَ سُجُودُهَا فِي خُشُوعٍ، هَا هِيَ تَجِدُ ثَمَنَهَا اليَوْمَ! ثَمَنُهَا رُؤْيَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وَتَتَجَلَّىٰ لَهُمْ رَوْعَةُ الجَمَالِ الَّتِي مَا خَطَرَتْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. يُصْبِحُ المُؤْمِنُ فِي حَالَةٍ مِنَ السُّكْرِ وَالذُّهُولِ مِنْ

شِدَّةِ رَوْعَةِ الجَمَالِ الَّذِي يَرَاهُ، وَلَا يَعُودُ إِلَىٰ وَعْيِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ النَّعِيمُ الأَكْبَرُ وَيَخْتَفِيَ النُّورُ.

وَمِنْ أَبْلَغِ مَا وَصَفَ بِهِ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]. نَاضِرَةٌ، أَيْ جَمِيلَةٌ مُشْرِقَةٌ بِسَبَبِ نَعِيمِ الجَنَّةِ، وَأَعْظَمُ سَبَبٍ لِنَضَارَتِهَا هُوَ أَنَّهَا إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

يَا أَبْنَائِي، إِنَّ رِحْلَةَ المُؤْمِنِ لَا تَنْتَهِي بِفَرْحَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ هِيَ سِلْسِلَةٌ مِنَ الأَفْرَاحِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ، حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ ذِرْوَةِ السَّعَادَةِ، وَهِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ.

مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنَ القِصَّةِ؟

الأَبُ: هَيَّا يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمْ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ العَظِيمِ، مَا هِيَ أَهَمُّ فَائِدَةٍ اسْتَخْلَصْتُمُوهَا مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ؟

- **حَسَّانُ**: أَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمٍ فِي الجَنَّةِ لَيْسَ فَقَطْ القُصُورَ وَالأَنْهَارَ، بَلْ هُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ رِضَا اللهِ أَهَمُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
- **رَزَانُ**: وَأَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ النَّعِيمَ فِي الجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ، بَلْ يَزِيدُ وَيَتَجَدَّدُ، وَهَذَا يُعْطِينَا أَمَلًا كَبِيرًا وَطُمَأْنِينَةً.
- **رَيَّانُ**: أَمَّا أَنَا، فَتَأَثَّرْتُ بِلِقَاءِ الأَحْبَابِ فِي الجَنَّةِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ الأُسَرَ الصَّالِحَةَ فِيهَا. هَذَا يُشَجِّعُنِي لِأَنْ أَكُونَ صَالِحًا لِأَجْتَمِعَ بِمَنْ أُحِبُّ.

- تَسْنِيمُ: وَأَنَا يَا أَبِي، تَعَلَّمْتُ أَنَّ كُلَّ تَعَبٍ وَجُهْدٍ فِي الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنٌ عَظِيمٌ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ النَّعِيمَ الحَقِيقِيَّ هُوَ الخُلُودُ وَالسَّعَادَةُ الَّتِي لَا تَنْتَهِي.

***

قِصَّةُ آخِرِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

أَبْنَائِيَ الْكِرَامَ،

تَأَمَّلُوا مَعِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْعَجِيبَةَ عَنْ آخِرِ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. لَيْسَتْ مُجَرَّدَ قِصَّةٍ، بَلْ هِيَ دَرْسٌ فِي رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَفِي فَضْلِهِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ.

عَلَىٰ مَرْأَىٰ الْجَمِيعِ، وَبَعْدَ أَنْ تَمَّ الْقَضَاءُ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَأْمُرُ اللهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ كُلَّ مَنْ كَانَ يُوَحِّدُ اللهَ، حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ لَهُ ذُنُوبٌ. يُعْرَفُونَ بِمَا تَرَكَتْهُ آثَارُ السُّجُودِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، فَالنَّارُ لَا تَأْكُلُ أَعْضَاءَ السُّجُودِ. يَخْرُجُونَ وَهُمْ قَدْ تَفَحَّمُوا وَاحْتَرَقُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبْتَةً جَمِيلَةً كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

وَبَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، يَبْقَىٰ رَجُلٌ وَاحِدٌ، هُوَ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يَقِفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَوَجْهُهُ مُقْبِلٌ عَلَىٰ النَّارِ، فَيَقُولُ بِقَلْبٍ يَائِسٍ: "يَا رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا". يَأْتِيهِ النِّدَاءُ مِنْ رَبِّهِ: "هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟" فَيُجِيبُهُ الرَّجُلُ بِعَهْدٍ وَمِيثَاقٍ: "لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ". فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، وَيُقْبِلُ بِهِ عَلَىٰ الْجَنَّةِ.

وَمَا إِنْ يَرَىٰ بَهْجَةَ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَسْكُتَ طَوِيلًا، تَمْلَأُ عَيْنَيْهِ زَهْرَةُ الْجَنَّةِ وَنَضْرَتُهَا وَسُرُورُهَا، فَيَنْسَىٰ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ. وَبِقَلْبٍ مَلِيءٍ بِالْأَمَلِ يَقُولُ: "يَا رَبِّ، قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ". فَيُذَكِّرُهُ اللهُ بِعَهْدِهِ: "أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟"

فَيُجِيبُ الرَّجُلُ بِتَذَلُّلٍ: "يَا رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ". فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: "فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟" فَيُعْطِي الرَّجُلُ رَبَّهُ عَهْدًا وَمِيثَاقًا آخَرَ: "لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ". فَيُقَدِّمُهُ اللهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ.

عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، يَرَىٰ الرَّجُلُ زَهْرَتَهَا وَنَضْرَتَهَا، فَيَسْكُتُ لِفَتْرَةٍ فَيَنْسَىٰ عَهْدَهُ الثَّانِي. وَيَتَجَمَّعُ فِي قَلْبِهِ كُلُّ الشَّوْقِ، فَيَقُولُ مُتَوَسِّلًا: "يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ". فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ضَحِكًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَيَقُولُ: "وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟".

وَمَعَ ذَلِكَ، وَبِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ وَجُودِهِ، يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ. وَبَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ، يَقُولُ اللهُ لَهُ: "تَمَنَّ". فَيَتَمَنَّىٰ الرَّجُلُ، وَيَتَمَنَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا ظَنَّ أَنَّ أُمْنِيَاتِهِ قَدِ انْقَطَعَتْ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " كَذَا وَكَذَا". يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : "لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ".

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». وَبِذَلِكَ، يَنَالُ هَذَا الرَّجُلُ، آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، نَعِيمًا لَا يُحْصَىٰ وَفَضْلًا لَا يُنْكَرُ.

والآن يا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمْ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ، مَا هِيَ أَهَمُّ فَائِدَةٍ اسْتَخْلَصْتُمُوهَا؟

- **حَسَّانُ**: أَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ لِلْمُوَحِّدِينَ، حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ. فَاللهُ لَا يُخَلِّدُ فِي النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ.
- **رَزَانُ**: وَأَنَا يَا أَبِي، أَعْجَبَتْنِي الْقِصَّةُ لِأَنَّهَا تُظْهِرُ كَيْفَ أَنَّ طَبِيعَةَ الْإِنْسَانِ الْبَشَرِيَّةَ ضَعِيفَةٌ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَغْدِرُ بِوَعْدِهِ أَمَامَ رُؤْيَةِ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ يَرْحَمُهُ وَيَغْفِرُ لَهُ.
- **رَيَّانُ**: أَمَّا أَنَا، فَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنّ النَعِيمِ وَتَحْقِيقُ الْأَمَلِ بِدُخُولِ الجنة والنظر إلىٰ وجه رب العالمين. وأن كُلُّ مَا تَمَنَّاهُ الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ سِوَىٰ مُقَدِّمَةٍ لِدُخُولِهَا وَنَعِيمِهَا الَّذِي لَا يُوصَفُ.
- **تَسْنِيمُ**: وَأَنَا يَا أَبِي، اسْتَفَدْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَفُوقُ الْعَقْلَ، وَأَنَّهُ يُعْطِي عَبْدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَمَنَّىٰ وَأَكْثَرَ مِمَّا يَتَصَوَّرُ، حَتَّىٰ لِأَقَلِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ. فَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَيْأَسَ مِنْ فَضْلِ اللهِ.

***

قِصّةُ أَصْحَابِ الْأَعْرافِ وَذَبْحِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْجَنّةِ وَالنّارِ

أَبْنَائِيَ الأَحِبَّاءَ،

بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ النَّاسُ الْقَنْطَرَةَ، وَصَلُوا إِلَىٰ حَافَةٍ عَظِيمَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. هُنَا وَقَفَ أُنَاسٌ، لَا هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِدَاخِلِينَ، وَلَا هُمْ فِي النَّارِ بِخَالِدِينَ، إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، الَّذِينَ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَحَبَسَهُمُ اللهُ فِي مَكَانٍ عَالٍ بَيْنَ دَارِ السَّعَادَةِ وَدَارِ الشَّقَاوَةِ.

إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُمْ. فَإِذَا رَأَوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، نَادَوْا: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ!"، يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ. وَإِذَا رَأَوا أَهْلَ النَّارِ، اسْتَعَاذُوا بِاللهِ مِنْ مَصِيرِهِمْ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ أَنْ يُنْجِيَهُمْ.

يَا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ عَظِيمٍ! قُلُوبٌ مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَأَعْيُنٌ شَاخِصَةٌ إِلَىٰ الْأَبْوَابِ، تَتُوقُ إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ. فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ، يَرَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَهُمْ يَدْخُلُونَ، وَيُشَاهِدُونَ الْأَبْوَابَ تُفْتَحُ لَهُمْ، فَتَتَجَدَّدُ آمَالُهُمْ، وَتَدْمَعُ عُيُونُهُمْ شَوْقًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأعراف:٤٦-٤٧].

لَكِنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ، فَبَعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَأْذَنُ اللهُ لِأَهْلِ الْأَعْرَافِ بِالدُّخُولِ. يُقَالُ لَهُمْ: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ". يَا لَهَا مِنْ لَحْظَةٍ عَظِيمَةٍ! يَا لَهُ مِنْ فَوْزٍ مُبِينٍ! لَقَدْ فَازُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَقَدْ نَجَوْا وَرَبِّ السَّمَاءِ!

ذَبْحُ الْمَوْتِ

وَهُنَا يَحْصُلُ أَمْرٌ عَظِيمٌ. فَبَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَتُغْلَقَ أَبْوَابُ النَّارِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَيَسْتَقِرَّ كُلُّ قَوْمٍ فِي دَارِهِمْ، تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ اللَّحْظَاتِ الَّتِي يَنْتَظِرُونَهَا، وَهِيَ لَحْظَةُ الْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ.

فِي الْجَنَّةِ، لَا نَوْمَ وَلَا تَعَبَ وَلَا حُزْنَ، وَلَكِنْ يَبْقَىٰ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَظَلُّ فِي الْخَوَاطِرِ... هُوَ الْمَوْتُ. هَلْ سَيَبْقَىٰ الْمَوْتُ فِي الْجَنَّةِ؟ هَلْ سَيَأْتِي يَوْمٌ وَيَنْتَهِي هَذَا النَّعِيمُ؟

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ».

هُنَا لَحْظَةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَثَرٌ بَالِغٌ. يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ (فِيهِ بَيَاضٌ كَثِيرٌ وَفِيهِ سَوَادٌ)، يُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَيَشْخَصُونَ بِأَبْصَارِهِمْ، فَيَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ

هُوَ الَّذِي أَنْهَىٰ حَيَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَيَرَاهُ أَهْلُ النَّارِ، وَيَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَهُمْ هَذَا الْمَصِيرَ.

ثُمَّ يُذْبَحُ! نَعَمْ، يُذْبَحُ الْمَوْتُ أَمَامَ أَعْيُنِ الْجَمِيعِ. لَحْظَةٌ مُؤَثِّرَةٌ وَعَظِيمَةٌ، ثُمَّ يُنَادَىٰ: "يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ".

هُنَا... تَكْتَمِلُ السَّعَادَةُ، وَتُمْلَأُ الْقُلُوبُ بِالسُّرُورِ، وَتُذْهَبُ كُلُّ خَوْفٍ. لَقَدْ أَصْبَحَ النَّعِيمُ أَبَدِيًّا، وَالْفَرَحُ لَا يَنْقَطِعُ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ غِبْطَةً وَفَرَحًا عَلَىٰ فَرَحِهِمْ.

وَفِي الْمُقَابِلِ، يُنَادَىٰ فِي أَهْلِ النَّارِ: "يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ". فَيَزْدَادُونَ حَسْرَةً عَلَىٰ حَسْرَتِهِمْ، وَيَأْسًا عَلَىٰ يَأْسِهِمْ.

وَاعْلَمُوا أَبْنَائِي أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي يُذْبَحُ لَيْسَ مَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَمَلَكُ الْمَوْتِ هُوَ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ، أَمَّا الْمَوْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ يُجَسِّدُهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَةِ كَبْشٍ وَيَذْبَحُهَا لِيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ فَنِيَ، وَأَنْ لَا نِهَايَةَ بَعْدَ ذَلِكَ.

مَاذَا اسْتَفَدْنَا مِنَ الْقِصَّةِ؟

وَالْآنَ، وَبَعْدَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي كِتَابِنَا، هَيَّا لِنُلَخِّصَ أَهَمَّ الدُّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْأَخِيرَةِ.

- **حَسَّان**: "تَعَلَّمْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ، فَهُوَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، حَتَّىٰ لِأَصْحَابِ الْأَعْرَافِ الَّذِينَ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ. هَذَا يَجْعَلُنِي أَتَمَنَّىٰ أَنْ أَعْمَلَ الْخَيْرَ دَائِمًا، وَأَتَجَنَّبَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ أَكُونَ مِنَ الْفَائِزِينَ بِرَحْمَتِهِ."
- **رَزَان**: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْبَقَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ. عِنْدَمَا سَمِعْتُ عَنْ ذَبْحِ الْمَوْتِ، شَعَرْتُ بِأَهَمِّيَّةِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ تَعَبٍ فِي الدُّنْيَا يَهُونُ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ هَذَا الْخُلُودِ."
- **رَيَّان**: "أَنَا اسْتَفَدْتُ أَنَّ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَا مَعًا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ كَانُوا خَائِفِينَ مِنَ النَّارِ وَرَاجِينَ رَحْمَةَ اللهِ. وَهَذَا يُعَلِّمُنِي أَنْ أَعْمَلَ بِجِدٍّ، وَأَخَافَ مِنْ ذُنُوبِي، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَا أَيْأَسَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الْوَاسِعَةِ."
- **تَسْنِيم**: "أَدْرَكْتُ أَنَّ التَّوْبَةَ مُهِمَّةٌ فِي حَيَاتِنَا، وَأَنَّهُ مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبِي، يَجِبُ أَنْ أُسَارِعَ فِي التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ حَتَّىٰ لَا أَكُونَ مِثْلَ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ الَّذِينَ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ."

***

خَاتِمَةُ الْكِتَابِ: دُعَاءٌ مُؤَثِّرٌ

وَفِي خِتَامِ هَذِهِ الْحَلَقَاتِ الرَّائِعَةِ الَّتِي جَمَعَتْنَا حَوْلَ قِصَصِ الْعَقِيدَةِ، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ نُورًا فِي قُلُوبِنَا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

يَا رَبَّنَا، يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا مَنَّانَ الْفَضْلِ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُحْسِنَ خَاتِمَتَنَا، وَأَنْ تُحَبِّبَ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَأَنْ تُزَيِّنَهُ فِي قُلُوبِنَا. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْجَنَّةَ بِلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْخُلُودِ فِيهَا. اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَاجْعَلْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الفهرس



سلسلة قصص الأطفال (٢)
قصص الأطفال
الجزء الثاني
قصة نبينا محمد ﷺ
من الولادة إلى الوفاة
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (١)
قصص الأطفال
الجزء الأول
قصص الأنبياء
عليهم السلام
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٥)
قصص الأطفال
الجزء الخامس
قصص العقيدة الصحيحة
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٤)
قصص الأطفال
الجزء الرابع
صحيح القصص النبوية
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
سلسلة قصص الأطفال (٣)
قصص الأطفال
الجزء الثالث
قصص القرآن الكريم
إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري
دار الطبراني
للطباعة والتجليد
اليمن - لحج - تبن - دار الحديث
السلفية بالفيوش
775250954